# عشيقات النّذل

مكتبة
الفكر الجديد

كمال الرّياحي



# عشيقات النّذل



## صدر للمؤلف

### في الإبداع:

- **نوارس الذاكرة**، قصص، تونس 1999 (ترجم بعضها إلى الفرنسية).
- **سرق وجهي**، قصص وشعر، تونس 2001.
- **المشرط**، رواية، سلسلة عيون المعاصرة، دار الجنوب، تونس 2006، الطبعة الثانية 2007. تحصلت على جائزة الكومار الذهبي لأحسن رواية تونسية للعام 2007. الطبعة الثالثة، دار الساقي، بيروت 2012.
- **الغوريلا**، دار الساقي، بيروت 2011.

### في النقد:

- **حركة السرد الروائي ومناخاته** (مقاربات نقدية في الرواية العربية)، دار المجدلاوي، الأردن 2005.
- **الكتابة الروائية عند واسيني الأعرج**، منشورات كارم الشريف، تونس 2009.
- **هكذا تحدث فيليب لوجون جانفي**، ترافليغ، تونس 2009.
- **هكذا تحدث واسيني الأعرج**، ترافليغ، تونس 2010.
- **نصر حامد أبو زيد/ التفكير في وجه التكفير**، دار كارم الشريف، تونس 2015.

خطوط العناوين: حمدي طبارة
تصميم الغلاف: سومر كوكبي



كمال الرّياحي

# عشيقات النّذل






الطبعة الأولى 2015

ISBN 978-6-14425-829-3

دار الساقي
بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: 113/5342، بيروت، لبنان
الرمز البريدي: 6114–2033
هاتف: 442 866-1-961+، فاكس: 443 866-1-961+
email: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني
www.daralsaqi.com

تابعونا على

@DarAlSaqi



دار الساقي

Dar Al Saqi

”لم يُفلِت منّي أحد. حسمتُ مصائرَ الجميع هنا. بقيَ أن أحسمَ رؤوسكَم.“

بوخا

”بمقدار ما تكون الفظاعة مقياساً للعشق فإنّ العطش للشرّ هو مكيال الحسنات.“

جورج باتاي




مكتبة
الفكر الجديد

شقة بالطابق السفلي. قططٌ كثيرة في الرواق النديّ تلتهم الصوسيصون. رائحة النوم تمزّقها نسمةٌ خفيفة تدخل من نافذة صغيرة في أعلى الجدار. غرفة على اليمين. أريكة من خشب قديم. علب جعة فارغة تطلّ من كيسٍ أسود على البلاط. في الركن براز قطط حديث الرائحة. على الجِدار عُلِّقت صورة سيدة، بالأبيض والأسود، تفرق شعرها على الجنبين، كهنديٍّ أحمر، تفتح عينيها في حياد. سعلة غامضة من غرفة أخرى ربما على اليسار. يرنّ الموبايل بضع رنّات دون ردّ. يسود الشقّة صمتٌ نسبيّ، يقطعه صوت منبّه سيّارة وصراخ مبحوحٍ في الخارج. يطلّ رجل أربعينيّ من نافذة الشقة. تحت النافذة رجلٌ آخر داخل سيارة يمدّ عنقه إلى الخارج ملوّحاً بمسدّس ويتوعّد بيده : "ردّ يا ابن القحبة، ردّ أيّها النذل. يا صديق النذل. ردّ، بيننا حسابٌ نريد تصفيته أيّها الحثالة. سأفضح جبنك وجبنه إذا لم تردّ أيّها الفأر". يغلق الأربعينيّ النافذة ويسود الغرفة صمت بعد أن اختفى صوت محرك السيّارة. تمرّ ثلاث دقائق وها هو الموبايل يرنّ من جديد.

- ...
- من تكون أيّها النّذل؟
- ...
- عن أي قبرٍ تتحدث وأية فئران تلك التي سأخرجها؟





- ...

- كم؟ من أنت لأدفع لك هذا المبلغ؟! أنت مجنون!

أظهر وجهَكَ لأحشوَهُ في حاوية القمامة مع طعام قططي الفاسد. أظهِر لي وجهك إن كنت رجلا أيّها النّذل.

- ...

- أغلق ابن العاهرة. اللعنة. النذل الحقير.

كلّ ذلك كان يحصل هناك على مرأى من القطط الكثيرة التي ظلت تلتهم الصوسيصون في هدوء بالرواق؛ ذلك الرواق الغارق في رائحة النوم والبيرة وبراز القطط. عاد الأربعيني القصير إلى الغرفة وظل يدخّن في غضب ويدور كالمخبول قبل أن يهوي بجثّته على كرسي مكتبه الخشبي القديم ويفتح الدفتر.





# هل ستبقى معي؟

أعادت سؤالها من جديد وهي تشير نحو بطنها الممتلئ قليلاً. تهدّمتُ كأنما سُلّت عظامي فجأةً من لحمي. واصلتْ: "نعم أنا حبلى ولن أجهض. أجبني، هل ستبقى معي؟".

شفط جفافٌ مباغتٌ ريقي فدفعت بلساني نحو كلام هارب. أحاول أن أتّكئ على ما بقي من مرَحي القديم: "طبعاً، سأبَقى معك حتى لو حبلت بتوأم". رميتُ بالجملة فقط لأستريح قليلاً، لأسحب نفساً لصدري الذي يضيق. لكنها عادت تجلد: "ألا يزعجك أن أحبل من غيرك؟ أمر عادي عندك؟".

لم أسحب النفس كاملاً حينما قطفته اللعينة في منتصف الطريق. ماذا أقول لها وهي تطعنني وتسأل. تقيّأت في خيالي وأنا أتخيّلها تعاشره ليلة زرع فيها السؤال.

ترنّحت وأنا أراها تطلبه في الفراش وهي في أيام الخصوبة. كم مرة حدّثتني عن علاقتها الرائعة به في الفراش! كنت آخذ ذلك على محمل اللعب ومحاولة إثارة غيرتي. أغار لكنني كنت أنسى. ذلك اليوم فقط سقط قلبي وسكت وأنا أتلقّى سهامها وعيني على





بطنها المستفزّ.

قل. ستبقى معي الآن؟

***

دارت من الجهة الأخرى. فتحت باب السيارة: "سأقود أنا الآن. هيا انزل".

نزلتُ. لم أجادل. كان الدوار يحتلني بالكامل ولم أكن بالفعل قادراً على القيادة. انطلقت بنا السيارة كزورق في بحرٍ هائج بالمراكب متجهة نحو مطعمنا ككلّ يوم جمعة، هناك، عند البحر، كنا نلتقي للغداء.

– سيكون هذا الغداء الأخير إذن؟ همست سائلة.

لم أجب. لاحظت أنها قصّت شعرها. فكّرت: لأوّل مرة تقصّ شعرها دون أن تستشيرني. حتى لون شعرها غيّرتهُ. بدا يميل إلى البنفسجي. لونٌ اعترضتُ عليه مرةً وتمسّكتُ بالكستنائي. أنزلتُ نظري نحو بطنها، كان فعلاً منتفخاً بما يكفي لتأكيد خبرها.

مرّت على علاقتنا ثلاث سنوات. كنا غالباً ما ننهي كلّ لقاء بشجار. كلٌّ منّا أراد أن ينتزع من الآخر اعترافاً بالتقصير. ولكن ما إن تأتي الجمعة حتى نهرع إلى بعضنا كأنّما يشدنا مغناطيس ما.

لم تبدأ علاقتي بحياة حبّاً. كانت إعجاباً فحسب. حياة امرأة فاتنة لذلك أصدقها عندما تأخذ في التغزّل بنفسها وهي تقول: "لم يولد الرجل الذي يصمد أمام حياة". لكن ذلك الإعجاب سرعان





ما انحسر عندما اكتشفت سطحيتها وعدم مبالاتها بما أقول.

لم تكن حياة تهتم بالأدب ولا بالفن ولا حتى تتابع نشرة الأخبار السياسية. تكتفي بحب كرة القدم وعشق غابريال باتيستوتا نجم المنتخب الأرجنتيني.

ولكن عوض أن ينتهي ذلك الإعجاب وتنتهي العلاقة، اهتزّت أرض القلب الجرداء وانشقّت لينبت برعم سرعان ما تسامق وانفجرت من رأسه وردة. انفجرت تلك الوردة كما تنفجر رؤوس الفطر من تحت الأرض الندية تحت أشجار الصنوبر في الغابات. كانت تلك الوردة كلّ الحب؛ حباً ثقيلاً مثل فأسٍ ضربت القلب.

***

لا أدري كيف وصلنا إلى المطعم. هناك بعيداً في الضاحية الشمالية أين تقيّأ على صخور الشاطئ المنتصبة. عند النافذة جلسنا. نزل علينا صمتٌ ثقيل. وصل النادل.

برطم: كالعادة؟

اعترضت حياة: لا، اليوم أريد معجّنات. سباغيتي بغلال البحر والكثير من السلطة، أرجوك. لم أعد وحدي.

ضحكت وهي تشير إلى بطنها. ابتسم النادل وقد فهم والتفت إلي يريد أن يقول لي شيئاً. "منعه" وجهي المتجهّم من قول شيء. انطلق يجهّز الطلبات.





غرقنا في الصمت. كنت أتابع الموج وكانت تنظر في وجوه الزبائن بالمطعم. لأول مرة تجلس حياة قبالة الزبائن.

- اجلس أنت هنا. يكفيني وجهك والبحر.

وضع النادل صحنَي السباغيتي برفق. انهمكنا نلفّ الجدائل دون أي كلام. أكلتُ كثيراً دون أن أشعر. أكلتُ بشهية سكران. ليست الخمرة وحدها ما يفتح الشهية. الحيرة أيضاً. خمّنت أنّني كنت أبحث عن مخرج مع كل لقمة. أبحث عن إجابة لسؤالها الذي رمته في وجهي كصفعة عامل بناء: "هل ستبقى معي الآن؟". سمكة أفريل في ديسمبر؟

ألفّ السباغيتي وأفكّر. تتشابك الأفكار والمشاعر كلّ مرة ولا أجد رأس الجملة فأزدرد اللقمة والفكرة.

توارى بطنها تحت الطاولة ولم أعد أراه. تمنّيت أن تنهض ويختفي ذلك النفخ القليل كما الكابوس فأستريح.

فكّرت، لم تكن المرة الأولى التي تقول لي فيها امرأة إنها حامل، لكن هذه المرة لم تكن ككلّ المرات. ليس لأن حياة من تقول لي هذا إنّما لأن كلّ النساء السابقات كن يخبرنني أن الحمل مني. قبل أن أقول أي شيء تقول الواحدة: سأجهضه غداً. أحياناً تقول لي: كن معي عندما أذهب إلى الطبيب لأنزله. أريد أن أتركه لأيام أخرى. أريد أن أشعر به أكثر.

كلام كثير كنت أسمعه كل مرة من نسائي. لكن ما سمعته ذلك اليوم كان هبلاً.

تخبرني حياة بكلّ برود أنها حامل من غيري! وتسألني هل





سأبقى معها؟ كيف لي أن أجيبها؟ وكيف تجرؤ أن تسألني هذا السؤال؟

قمتُ إلى دورة المياه أنظر في المرآة. بدوتُ حزيناً ومهموماً والسؤال محفور على جبيني الذي خططته بالعرض أوديةٌ عميقة. لا أدري ما الذي جعلني أرفع قميصي فوق السرة لأتأمل بطني؛ بطني الممتلئ بالعجين، بدا بشعاً يقسمه بالطول وادٍ من الشعر الكثيف. كانت حياة تسمّيه وادي الموت. تأخذ في تقبيله من منبته عند الصدر حتى تعبر السرة وأنقلب عليها وتبدأ مراسم القتل. كنت أحرّك كفي فوق بطني كامرأة حبلى مسترجعاً لهونا اللذيذ عندما دخل رجل دورة المياه وضبطني في ذلك المشهد. برطم بكلام لم أسمعه. الأكيد أنه كان يشتم. ربما ظن بي الظنون. أُدخل قميصي تحت البنطال.

"هل ستبقى معي؟" أطلّت علي صورتها في المرآة من ورائي. عاودتني الرغبة في الغثيان. أدخلت أصابعي في حلقي وأغرقت الحوض بما أكلت. أطلقت الماء. نظفت ما ارتكبت. غسلت وجهي وعدت إلى حيرتي.

"لماذا تلومها؟ هذا زوجها يا سيّد".

تغوّط عليّ صوتٌ في داخلي.

"لا يمكنني أن أقبل هذا". واصلت: "زوجها؟ فليكن. لكن ليس من حقها أن تحبل منه. هي الآن لي". كنت أفكّر باضطراب بين صوتين. يذكّرني الصوت الآن أن استعمالي لـ"لي" يدينني لأنها تشير إلى الملكية ويذكّرني أنني قضيت حياتي أقنع العالم





في دورات التنمية البشرية وفي رواياتي ومحاضراتي أن العلاقات قائمة على الشراكة والحرية وأنني كثيراً ما صرخت في عشيقاتي الغيورات: "لا أريد أن يمتلكني أحد ولا أريد امتلاك أحد".

"ليس من حقها أن تحبل منه لأنها حبيبتي أنا" تمتمت. أجابني الصوت: "ولكنها جاءت تسأل هل ستبقى معها؟ لم تقل إنها تريد أن تتركك. تذكّر، عندما تعانقتما ذلك اليوم في مكتبك وتجاهرتما بالحب كنت تعلم أنها ما زالت متزوجة، ولم تقل يوماً إنها توقفت عن معاشرته".

***

أوصلت حياة، بعد الغداء، إلى مرآب البالماريوم حيث تركت سيارتها. تابعتها وهي تعبر الطريق في فستانها الرمادي القصير فوق الركبة. كانت شهية كعادتها في كعبها العالي. تلك المرة الوحيدة التي التقينا فيها دون أن نقبّل بعضنا بتوحّش ودون أن نتضاجع أو حتى نتراضع. كم كان الفعل يضحكها وأنا أقول لها: "تعالي نتراضع". لم يكن مساءً عادياً ذلك المساء البارد. كان ديسمبر يشهق بقوته ويقذف ريحه في وجوهنا. قبل أن تعبر الطريق نحو سيارتها التفتت إلي وقالت: "هو أسبوع فقط. أمهلكَ أسبوعاً كاملاً لتقرر".

دخلت سيارتها "الكليو" الحمراء، أدارت مفتاحها وانطلقت. عدتُ إلى سيارتي التي تركتها بعيداً بجانب الطريق. جرّتني إلى هنا





حيث أتمدد في الطابق العلوي من هذه العمارة البالية. لم أشعر أنني في الدرك الأسفل إلا تلك الليلة. انتبهت إلى السقف الذي تساقط دهانه بسبب الرطوبة. هنا، في هذه العمارة المطلّة على محطة TGM، كانت الطوابق الخمسة تنقلب علي كلما غفوت. كلما رفعت طابقاً سقط علي الآخر. تركت الفراش ودخلت المطبخ. طبخت طنجرة من الشاي الأخضر وجلست أتابع القطارات الهاربة نحو البحر هناك في ذلك الفجر.

ليس أمامي سوى أسبوع أقرّر فيه: إما تركها إلى الأبد أو العيش معها، وهي لم تعد وحدها كما قالت للنادل قبل يومين.

انقضى يومان من المهلة، لم أفعل شيئاً يذكر سوى شرب البيرة. شربت كرتونتين، كان عندي شعور أشبه بشعور رهينة لا تفهم لغة مُختطفيها. تنتظر. فقط تنتظر. أطلُّ أحياناً من الشرفة لأتابع حركة القطارات تأخذ المسافرين إلى البحر وتعود بهم إلى المدينة. لا قطار يأتي بالإجابة. كل القطارات تفرغ العطش. أطلّ بين الحين والآخر على الهاتف. لا رسائل منها تصل. أعدت صوته ليرنّ بعدما كنت كتمت صوته مذ عرفتها.





# مطر في نهج مرسيليا

كان يوماً بشعاً وذابلاً مثل قضيب عجوزٍ في الثمانين يحاول الانتصاب في يأس أمام فاتنة تتعرى له في الخلاء. الريح لم تتوقف منذ الليلة السابقة والسحب الممطرة تهجم كل ساعة على الناس في الشارع مثل كلابٍ سائبة فيهرعون إلى المقاهي ومداخل العمارات والشركات والمطاعم والشقوق المفتوحة في الجدران.

نبتُّ فجأةً في شارع مرسيليا أحاول ترويضَ مظلتي التي قلبتها الريح الماطرة. تأمّلتها جيداً. ثبتُّ قبعتي الايرلندية ومضيتُ بنفس الخطى الثابتة نحو حاوية القمامة المقابلة. تحركت أمامي لافتةٌ إشهاريةٌ للدجاج المحمّر. رميتُ بالمظلّة المهشّمة في الحاوية ودخلت بوابة فندق الأوسكار رافعاً ياقة معطفي البربري.

كان الحارس الضخم ذو العضلات المنتفخة مشغولاً في تلك اللحظة بحقن ذراعه بالمخدر في ركنٍ مظلم من بهو الفندق. لمحته يتأوّه. ظهر خلفي رجل في برنسٍ أسود. صعدتُ الدرج القصير نحو الطابق الأول. وقفت في باب الـ JFK. لم أدخل تلك الحانة منذ أشهر. قلتُ هو ركن صغير أحشر نفسي فيه لأواجه





سؤالها بجدية. كانت الموسيقى خافتة. خمسة رواد فقط كانوا ينتشرون في المكان تلوّح بهم الكآبة يميناً وشمالاً ويهرب بهم الحزن إلى بحيرات بعيدة. انتبذت مكانا قصياً من الحانة مديراً ظهري للتلفزيون الذي كان يعرض اعلانات إشهارية تستعرض فيها نساء رشيقات ماركاتٍ جديدة لماكينات إزالة الشعر.

لاحظتُ أن صاحبَ البرنس جلس قريباً منّي يدخّن ولم يرفع غطاء رأسه.

أشار النادل لزميله خلف الكونتوار. خمّنتُ أنه يستفسر عن الزائر الغريب. لوّح النادل الثاني بيده في لامبالاة وعلا صوته: "شوفو اش يشرب؟".

عندما وصل النادل أمامي تأمل دفتري لحظة ثم سألني:

- Monsieur؟

انتبهتُ إلى القميص الأبيض للنادل. كان أحد أزراره مفتوحاً عند السرة ويظهر من تحته "تي شيرت" أسود. انتبه النادل فقفل الزر الذي عاد وانفلت من جديد بسبب اتّساع الثقب.

- Deux bières

همستُ في بحة ثقيلة بسبب السهر، ثم عدتُ إلى دفتري. وعاد النادل إلى زميله وراء الكونتوار يهمس. فجأةً صاح باسمي صوتٌ حاد. التفتّ:

- لا أصدق. سي كمال هنا؟

كان ذلك صوت حسن ستيلا؛ زميل الدراسة القديم، لم أتوقع أن أراه هناك. تركته، منذ سنوات، نادلاً بفندق الدبلوماسي بعد أن ترك





الدراسة من الصف الأول إثر رسوبه المتكرر. بدا لي كما هو لم يتغير. تتراقص عيناه في خبث ثعلب ويهزّ كتفيه متبختراً في مشيته كما لو كان يحمل عليهما جرتي ماء. فقط هي كرش اندفعت دون حساب إلى الأمام ولحية غزاها الشيب. صافحني بحرارة وانكبّ يضمّني متظاهراً بالمحبة ثم سحب كرسياً وجلس إلي يهذي:

- ها ها ها لم أكن أحسب أنك أنت من يتحدث عنه ذلك المهبول.

قهقه من جديد وناداه.

قال لي: "هناك أجنبيّ لا يبدو فرنسياً"، وعندما سألته: "كيف عرفت؟" أخذ يعطي الدروس: "الفرنسيون يثرثرون، يريدون أن يقنعوك أنهم يعرفونك. الإيطاليون كذلك يريدون إقناعك أنهم ليسوا بغرباء حتى لا تتحيّل عليهم".

أخذ النادل يبتسم في حرج وهو يتابع مشغّله يقلّده بشكل كاريكاتوري. التفت حسن إليه:

- أصبحت خبيراً في البشر.

- هكذا هم يعتقدون دائماً أننا سنتحيل عليهم في أي لحظة.

- هذا كلّه من أربع سنوات في علم الاجتماع انتهت بخروجك المشرّف دون إجازة. ماذا لو نجحت؟

أجاب النادل:

- التعرف موهبة وليس له علاقة بالكليّات والشكنات. وأنت أدرى بذلك.

نهره ستيلا:





- اذهب وقدّم للرجل ما طلب وكفّ عن الثرثرة في هذا اليوم الأقحب. ألا يكفي أنك أتيت متأخراً!

- قلت لك الحادث هو السبب.

- صدّقتك. نعم صدّقتك. حاذر أن تسقط عليك أنت الآخر قحبة الشامبو.

اقتحمني حسن وجلس إلي يمخّخ حياتي:

- أينك يا رجل؟ منذ سنوات لم تظهر. أحيانا أراك في التلفزيون. أقول لزوجتي ذلك الرجل صديقي، درسنا معاً، لكنه أصبح كاتباً. هي لا تصدقني عندما كنت أقول لها إنك كنت كسولاً، وأنك رسبت مرات. خاصةً هذه تنسف كل شيء. زوجتي لا تصدق أنك رسبت. المسكينة تتابع مسلسلاتك حلقة حلقة. كيف تصدّق أنك ترسب. سيغمى عليها قبل أن تصدق أنك هنا الآن تشرب البيرة كما كل الخلق... هاهاها.

أخذ حسن يسألني عن ناديا وعن سارة بشكل مستفزّ. كانت عيناه تدوران كسنجاب مذعور وهو يسأل إن كانت ناديا ما زالت متسلطة وهل ما زالت سارة نباتية. الحيوان يسأل عن تفاصيل دقيقة كأنه يقول إنني أعيش معك. أعلم أنه عرف ذلك عندما كنت أزور فندق الدبلوماسي منذ سنوات. كانت ترافقني ناديا وأحياناً سارة. عادةً ما كنت أغادر حانة الفندق أجرّ ناديا التي تتهوّر في الشرب. لكن لماذا يذكّرني بذلك؟

طلب لي البيرة تلو الأخرى غير آبهٍ باعتذاري مواصلاً هديره:

- لم يقدّر أحدٌ منّا ما تفعله. كنا أغبياء. كنت تعلم ما تقوم به.





عندما أراك في التلفزيون أقول كم كنا أغبياء. منذ شهرين رأيتك في الأخبار تتحدث عن مسلسلك الجديد وعن مساعدتك للأدباء الشبان. هل ما زالت كعادتك تعطف عليهم... هاهاها؟

مضت ساعة وحسن يهذي تارةً وتارةً يرجمني بأسئلته الركيكة ويطلب لي البيرة تلو البيرة. عندما هممت بالمغادرة بسبب ارتباط وهمي قذف على ظهري دنّاً من الماء البارد:

- كيف حال فئرانك؟ ألا يزالون في القبو؟

رميت بنفسي من جديد للطريق الماطرة وعدت من JFK إلى TGM حيث يتأرجح سؤال ينتظرني في عشي المعلّق فوق زئير القطارات: هل ستبقى معي؟

لم أرتح لكلام حسن. كان في كلامه شيء غامض ولزج كمخاط. كان مثل طبقات من الطين يرمي بها ليسدّ شقاً قبيحاً في السقف.

جلستُ في الشرفة أقلّب علبة دواء الأعصاب. "خذ حبّتين صباحاً، وحبتين لمنتصف النهار، وحبتين قبل النوم. إن باغتتك النوبة خذ حبتين أخريين. لا تترك نفسك بلا دواء. لا تشرب الدواء دون أكل. لن ينفعك الدواء دون أكل. كل المزيد من الخضار".

ها أنا، ككلّ يوم، وحيد مثل ملعبٍ مهجور. تضطرب في رأسي الأصوات القديمة وما من أحد. أقلب العلبة. واقفة. ممددة. واقفة. ممددة. ألعب. ألعب وألعب. تعلو الأمواج الضاجّة وأغرق.

أرى شفتَي حسن القبيحتين تأكلان وجهي بكلامٍ كثيرٍ ملغزٍ ومرعبٍ كقططٍ متوحشة تقفز علي من السقف القبيح.

لم يخرجني من شرودي إلا صوت الموبايل يرنّ وكبير الفئران





يتوعّدني بالتصفية وإفشاء السرّ إن لم أدفع لهم المزيد.

من أين آتي بالمال لهؤلاء الوحوش وهم لم ينجزوا شيئاً بعد؟ الفئران وصوت حسن وسؤال حياة، كلّها تأكل رأسي الآن.





# مقهى تونس لا تثور

لا أدري من أين طلعت هذه الشمس فجأةً في هذا الشهر الرمادي البارد. لففت الإيشارب القطنيّ الأسود حول رقبتي وخرجت للشرفة. الأرض مبلّلة لكن رائحة عطنة كانت تطير منها لتصلني في السماء هنا كذنوب العالم. لكن مع ذلك تبدو القطارات أكثر زرقةً، والحافلات التي تهاجم الطرق شديدة الاصفرار، والمباني أكثر وضوحاً. انتبهت أن الهاتف قد فقد شحنه. وضعته في الشاحن على الطاولة الصغيرة قريباً من باب الشرفة. سأسمعه إذا رنّ.

وجدت في جيبي علبة سجائر "20 مارس خفيفة". انقطعت عن التدخين منذ سنوات. عندما تساءلت عمّن وضعها في جيبي عثرت على الولاّعة الصفراء. ذكّرتني بحديث حسن. كانت علبته وهو يدفع بالسيجارة إلي بعد أن أخذتني إحدى بيراته إلى برزخ ما. تذكّرت كيف علّق على لون الولاّعة وقال إنه يختار هذا اللونَ لأنه يذكّره بامرأة أحبها. لا أذكر شيئاً عمّا قاله عنها، كانت البيرة قوية والموسيقى التي كانت خافتة قد تهوّرت وامتلأت الحانة بالشباب





والفول المدمّس والصراخ فغادرت.

***

لبست حذائي ونزلت الشارع. تمشيت من الـ TGM حتى أدركت "مقهى تونس" أمام وزارة الداخلية. مقهى تونس معروفة بالمخبرين وبقهوتها الجيدة. لا قهوة أفضل من قهوة مقهى تونس، ولكن ككلّ شيء جميل في هذه البلاد لا بد أن يطرح عليك مأزقاً. لا أدري كيف خطر لي ذلك الشبه بين حياة الحبلى ومقهى تونس؟

علي أن أختار إما الفقد أو الاستمرار مع المعطى الجديد. ذلك الصباح لم أكن في حاجةٍ لشيء غير قهوة جيدة ولو في مكان ترتاده الشياطين وليس البوليس. تقدّمت وطلبت "إكسبراس ساري". علّمني صديقي الايطالي، الذي كان ترجم لي إحدى رواياتي، طريقة شرب القهوة: جرعة واحدة، جرعتين، ثلاثاً على الأكثر وتغادر. لكنني هذه المرة سحبت كرسياً وجلست أرشف القهوة على مهل ككل العاطلين.

كان هناك في مقهى تونس كما العادة. يحفر بين أسنانه بموسه الصغير متخلّصاً من بقايا الطعام. قميئاً كما عرفته منذ سنوات. مواظباً على طاولته. عينه على مبنى وزارة الداخلية التي تنهض أمام المقهى كغول. يدفع بالموس الصغير أكثر بين ضرسيه ويبصق. كان دم الأسنان مقززاً على البلاط بجانب كرسيه. يبدو أنه قضى ساعات هناك.





المرمدة أمامه فارغة وبين قدميه كومة من أعقاب السجائر.
لا أحد يحتجّ على لطفي بوخا. سقط النظام ولم يسقط المخبر القميء. لا أحد في إمكانه أن يقترب منه. لا أدري لماذا هو بالذات. فقد تبخّر المخبرون فجأةً بعد سقوط النظام وحلّ الحزب. في إمكان بوخا أن يجدّد خلاياه مع أي نظام ويمكنه أن يظل واقفاً حتى في غياب النظام، لذلك ما زال الناس يخشونه. وبعد الأحداث بدت عليه علامات غريبة جعلته أكثر غموضاً. فكثيراً ما يقضي الساعات هناك في مكانه لا يكلّم أحداً. فقط يخرّب أسنانه ويملأ البلاط دماءً ثم يغادر. النادل يعرف قهوته لذلك لن يحتاج أن يسأله. يضع له الإكسبراس ويمضي. يدفع بوخا ثمن القهوة بصاقاً ويرحل.

عرفته في سنوات الجامعة الأولى. لم يكن طالباً. كان فقط نديم ستيلا. يجالسه أينما حلّ. يوقف "الفيسبا" أمام الكلية فيهرع إليه ستيلا. يقفز خلفه وتمضي بهما "الفيسبا" إلى أماكن مجهولة. تصادف أن اعترضاني في بعض الحانات والمقاهي ورأيتهما على الشاطئ يوماً. كان ذلك اليوم أتعس الأيام التي عشتها. فقد كنتُ مع عائشة. رأيت حسن يهمس له قبل أن يأتيني. هددني يومها بفتح نفق في خدي إذا رآني معها. كانت جمله القصيرة صارمة وأسنانه دامية. وتحت تهديد السكين الذي أخرجه من سترته انصعنا لأوامره: عائشة إلى القطار وأنا إلى الحافلة. أما ستيلا فوقف بعيداً يبتسم. منذ ذلك اليوم لم أعد أرى عائشة. في الحقيقة طلبتني ليلتها وشتمتني لأنني لم أفعل شيئاً من أجلها.





قالت: "ماذا لو اختطفوني واغتصبوني؟". بسبب وقاحتها أجبتها أنني على يقين أنها ستكون سعيدة لو فعلوا ذلك. هذه طريقتي في إجابة المعتدين. هي تعلم أن لا أحد يمكن أن يقف في وجه ذلك الحيوان المسلّح.

ظلّ بوخا دائماً في مرمى عيني. حتى بعد أن تخرجت وأصبحت الكاتب المشهور كان دائماً هناك في ركنٍ ما من المكان الذي أجلس فيه. أكّدوا لي أنه مخبر قميء جُنّدَ بعد أن زُجّ عشرات المرات في السجن بتهم شتّى: ترويج واستهلاك وعنف وتبديل وجهة. كان سوابق بما يَكفي ليكون عالماً بشؤون البلاد وخبيراً بخباياها وأسرارها.

لم أجد أفضل من بوخا ليكون عيني على القبو وليرعب الفئران. أعلم أنها كانت مخاطرة أن تعطي سرّك لمخبر لكنّي تعوّدت على المخاطر وليس أضمن على سرّ تعطيه لمخبر تعرف سعة أحشائه لتحشوها فيصمت. ضربت ببوخا العصفورين؛ لم يعد هناك من مخبر وعيّنتُ قطاً على الفئران.

***

لن أستمر معها. هذا مستحيل. كيف أقبل على نفسي هذه الإهانة. عندما تذكرت كيف كانت تتأوه تحتي وأتخيلها تفعل الشيء نفسه معه أصاب بجنون. اللعينة. أنا الأحمق الذي أحبّها. كانت تردّ عليه وهي معي وتتعهّر في ضحكتها. كم كنت مغفلاً. كنت أحسب أنها





تمثّل دوراً لكي يطمئن. ماذا كان يقول لها ذلك الأقحب عندما كان يخاطبها لكي تضحك كلّ ذلك الضحك؟ كانت تتدلل إذن. وأنا نبتت لي قرون بجانبها. الأكيد أنّه ذكّرها بمضاجعة الليلة السابقة. ابن الـ... هل ستبقى معي؟ هاهاها. أبقى مع من؟ مع امرأة كانت تخونني!

هاهي الذكريات... هاهي الحقائق تنهال علي. يوم وقفت في الشارع أنتظرها، بعد أن طلبَت أن أترك سيارتي في مكانها لأنّها ستمرّ علي بالمقهى لنذهب إلى البحر. كيف مرّ علي ذلك اليوم دون أن انتبه. بقيت أنتظر ظهور "السيتروان" الرمادية حين امتدت كفٌّ من سيارة "كليو" حمراء ودقّت سبابتها في جنبي فانتفضت. كم كانت يومها سعيدة بسيارتها الجديدة! هكذا قالت لي بكل بساطة إنها أروع هدية عيد ميلاد تلقّتها في حياتها. وهكذا بكل البساطة هنأتها ونسيت.

نحن الرجال أولاد كلب. لا يمكن أن نقدم شيئاً بلا مقابل. تلك السيارة كان لها ثمن. كيف خدعتني! وما أدراني أنها كانت بمناسبة عيد ميلادها وليس بمناسبة عيد زواجهما؟ أفّ! إذن، كانت ليلة حمراء كذلك اللون المقزّز للسيارة.

وتلك الرسائل التي لا تتوقف. كانت تصلها على الموبايل وأنا معها وتقول لي إنها من رجل يحبها بجنون. وكانت تقرأ لي بعضها، لتثير غيرتي. هل كانت رسائلَ الزوج العاشق؟ وتلك الأموال التي تأتيني بها لأختار معها ملابسها كانت أيضاً هدايا! وكنت سعيداً وهي تستشيرني في اختيار تلك الملابس وكنت





أتعمّد تشجيعها على اقتناء فساتين عارية الكتفين وقصيرة فوق الركبة. ماذا كنت أفعل بنفسي! هل كنت أفعل كل ذلك لكي يستمتع هو بذلك؟ الدليل أنّ كثيراً من تلك الملابس لم أرها ترتديها مرة واحدة. أنا لا أراها إلا مرة واحدة في الأسبوع وثلاث ساعات أو أربع في أقصى الحالات. تلك الملابس كانت له! هو الذي يراها كل يوم. هو من يجعلها في حجره ويتابعان معاً الفيلم الذي اخترته لها من محل أفلام DVD. أنا اختار له الأفلام الرومنسية ابن القحبة. قضيت عمري أثقّف فيه حتى حبّلها. حبّلها. حبّلها ابن الكلب. أقضي يوم الجمعة أقبّلها وأشعلها على الشاطئ لتعود إلى فراشه فيجدها جاهزة للنيك. "شوفاج سونترال متاع بوك أنا، يا ابن الكلب". أكاد أُجنّ. الحب أعمى فعلاً. ها أنا أرى. كيف كانت تترك السيارة أحيانا لتردّ على المكالمة. كنت أراها تتلوى مبتسمةً على الكورنيش ثم تعود إليّ حيث أنتظرها في مكاني فلا أسألها شيئاً. وإذا سألتها ردّت: "هو، كان يسأل عني وتصرفت".

تصرفتْ! كيف تصرفت! بماذا وعدته عندما تعود مساء؟

منذ ساعتين وأنا أقلّب صورها. تعلّقتُ بها مثلما يتعلّق طفلٌ بسلحفاة أليفة. أستمتع بوضع إصبعي في فمها لتعضّه. كانت تعضّ دون رحمة. وكنت أتحمّل. بينما كانت هي تحمل بطفلٍ منه. صورها بالسيارة الجديدة هي التي نبّهتني. تبدو سعيدةً بها فعلاً. تكاد تطير. كنت ألتقط الصور وأنا سعيد بوهم أنها سعيدة لأنها معي. مغفّلون نحن الرجال. لا الحب أعمى ولَا هم





يحزنون. نحن الحمقى.

سأكلّمها الآن وأخبرها. سأقف هنا في المطبخ وأمام تلك الطنجرة المقلوبة والمعلّقة في الحائط سأقول لها وبكل اختصار:

- فكرت، لا أستطيع أن أكمل.





# يجوز؟ لا يجوز

منذ الصباح وأنا هنا على هذا المقعد الخشبي في هذه المحطة. صوت زحف القطارات المجنونة طير عقلي وقررت أن أنزل من الشقة لأراها. دخلت محطة "TGM". قطعت تذكرة إلى ضاحية المرسى ونزلت قبل المحطة النهائية، هنا، في هذه المحطة. كان يجب أن أفكر بعيداً عن صخب هذه المدينة. صحيح أن القطارات تلاحقني هنا لكنني تخلصت من بقية الضجيج. لا أصوات حافلات هنا ولا أبواق سيارات.

فشلتُ البارحة في الاتصال بحياة لأعلمَها بقراري. قضيتُ الليل كله أتصل بخطها المغلق. توقعت كلّ شيء. عندما وجدت خطها مغلقاً مع أول اتصال انقبض قلبي. فكرت في كل شيء. الأكيد - قلت - أنهما يتضاجعان أو يتراضعان وقررت ألاّ اتصل أبداً، لكن الفضول جعلني أطلب رقمها من جديد وعاودتُ الاتصال وكان أيضاً مغلقاً. نفس الرسالة الصوتية ظلت تجيبني مخبرةً أن خط الشخص الذي أتّصل به مغلق حالياً، ورجاني الصوت الأنثوي الآلي أن أعيد الاتصال.





نبّهني المكان الهادئ أن الخط هو خطها الذي اشترته لي منذ تعلّقنا ببعض. والأكيد أنها أغلقته فلا معنى للاتصال بها قبل موعد الجمعة. قفزت في أول قطار عائد إلى العاصمة لأجرّب أن أكون داخل ذلك الهدير الحديدي.

طمأنني القطار قليلاً ولكنه لم يقدّم لي إجابة. مجرّد مسكّن لأعود لشقاء السؤال الثقيل.

سقط علي الليل وأنا هنا في الشرفة أكرّر الاتّصال وأشرب البيرة. حبي للبيرة من محبتي لأمي، هكذا قلت لحياة يوماً وهي تنصحني بالتوقف عن الشرب. ضحكت طويلاً بينما وقفت وأنا على وشك السكر أدافع عن فكرتي:

عندما كنت أخاف أهرع إلى أمي، وعندما كبرت أصبحت أحزن فأهرع إلى أمي، وعندما أحتار أركض إلى أمي، وعندما أردت الزواج ركضت إليها لكنها كانت قد رحلت. يومها هرعت إلى "الكارفور"؛ هناك وجدتها بانتظاري. أخذت أحضنها وأعبّئ السلة. جلستُ ذلك المساء أشرب والفكرة تتضح مع كل قنينة جعة. كما كانت تفعل أمي، هدّأتني البيرة شيئاً فشيئاً. أقنعتني قبل سنوات بضرورة الزواج لتكون لي عائلة؛ زوجة وأطفال وبيت صغير. لا يمكن لأمي أن تقول لي أكثر مما قالته لي البيرة تلك الليلة. لذلك رجّحت أن محمد كان يقصد البيرة بالجنّة التي تحت أقدام الأمهات. الجنّة عرفناها في آياتٍ كثيرة وصفت اتّساعها وثمارها ونساءها وخمرتها وقصورها وأنهارها وولدانها المخلّدين. لكن تلك الجنّة التي قال النبي إنها تحت أقدام الأمهات لا بدّ أن تكون





آباراً من الجعة. فكّرت بصوتٍ عالٍ وأنا أفتح قنينة جديدة.

أحزنني في النهاية أن أنجحَ في تأويل حديث صعب وأفشل في اختيار قرار.

عند الفجر، ومع صوت الآذان، انقشع السُّكْر وتوقّفت حالة الطيران. كنت على موعد مع انتصاب الفجر. كم حدّثت حياة عنه وكم اشتهته. ها نحن نخيط أكفان العلاقة دون أن نعيش ذلك الفجر معاً. خمّنت أنّني أرتكب معصية وأنا أقلّب عضوي مفكّراً في حياة مستمعاً إلى الآذان. لففت نفسي بالبرنُس الذي أهدته لي امرأة عرفتها قبل سنوات، قالت إنه صناعة يديها. وعندما علمت أنني متزوج أطلقت ساقيها للريح وتركت برنسها.

أخذت أقلّب الأفكار. إذا بقيت مع حياة وهي حبلى فهل يجوز شرعاً مضاجعة الحامل؟ دخلت الغرفة وقلبت الفراش بحثاً عن كتب رميتها في الصندوق الخشبي. كنت أعلم جيداً أنه هناك. عثرت عليه بعد نصف ساعة. كان في حالة يرثى لها. كتاب **الموطأ** لمالك بن أنس. كتاب منسي لم تكن هناك حاجة لسحبه من مخبئه. لا أدري لماذا توقعتُ أن يكون عمدةً في مثل هذه الأمور. قضيت الليل كلّه أقلّب صفحاته الكثيرة دون جدوى. رميت بالكتاب: خذلني مالك مرةً أخرى. ما ضرّ لو زدت فصلاً وسميته "كتاب الحامل" بعد "كتاب النكاح" و"كتاب الطلاق" و"كتاب الرضاع"!

عدتُ أقلّب بعض المصنّفات غير الموثوقة فوجدت أنّ في الأمر خلافاً؛ فهناك من يحرّم وطء الحامل ومنهم من يرى التحريم شمل





الحائض والنافس أما الحامل فإن وطأها لا يجوز إذا كان سيضرّ بالجنين وعليه فإنه لا خطر يهدّد علاقتي بحياة.

عندما أشعلت سيجارة المارس الخفيفة من علبة البارمان التي رميتها منذ أيام على الطاولة، تذكّرت تبدلات نفسية الحامل. تذكّرت هلوسة حياة، فلا أستغرب أنها ستتّهمني بمحاولة قتل الجنين إذا ما طلبتها للمضاجعة.





# هند الموندیال

لم يكن من حلٍّ غيرها. كنت أعلم أين أجدها: كافيتيريا الموندیال. كلّ المقاهي تخلق مومساتها ولكلّ مومس مريدوها. هند الموندیال مومس الممثلين الشبان لذلك اختارت كافيتيريا السينما. ظهرت منذ سنوات في مقهى الأوسكار بشارع مارسيليا قبل أن تستقرّ في كافيتيريا الموندیال بشارع ابن خلدون. ولم تقطع صلتها بالأوسكار، ففوق المقهى حانة الـ JFK، حيث تُعبّ البيرة بدينارين فقط، تجلس هند بالموندیال من العاشرة صباحاً حتى الثامنة ليلاً تشرب الشاي الأخضر، تمضغ النعناع وتمصّ الليمون. لا تدري أين تنام كل ليلة. كان فرجها عظيماً. تخيّلته شاهداً على حركة المسرح وذاكرة الأفلام التونسية. كانت لذيذة كالبطيخ، تأكل منها وتعيد الكرّة وكلما أكلت منها طلبت المزيد. تعتني هند بأظافرها وشعر عانتها، وهذا فقط ما جعلني أفكّر فيها دون غيرها.

دخلت الكافيتيريا ووجدت مكانها شاغراً. جلستُ في مواجهة المرآة وطلبت الشاي الأخضر. نزعت النعناع والليمون الذي وضعه النادل بالشاي، رميته بالمرمدة وأخذت أتسلّى بمشاهدة





صور نجوم السينما وبتهجئة أفيشات الأفلام القديمة التي زيّنت بها جدران الكافيتيريا عندما فتحت من سنوات. مرت ساعة عندما سمعت صوتاً قادماً من خلفي: "أما زلت ترمي النعناع؟".

التفتُّ لأراها. كان وزنُ هند قد ازداد أكثر، وكبر نهداها، وقد قصّت شعرها مثل صبي. تأملتُ أصابعها. قلتُ في نفسي: ما زالت تعتني بأظافرها وهذا مؤشر جيد على حال المحشور في الجينز.

قبّلتني وهي تسأل عن الريح التي قذفت بي إلى الكافيتيريا. وقبل أن أجيبها عادت إلى الكونتوار تطلب شايها وتؤكّد على الليمون. فكّرت أن أقوم وأترك الكافيتيريا؛ فما هكذا يجب أن أجد حلاً لمأزقي. عادت هند إلي وراحت تسألني عن أحوالي وتلمّح كل مرة إلى تلك الليالي التي قضيناها قبل خمس سنوات في بيتي. تعلم هند أنني أعشق النساء ولا أستقر مع امرأة، لكنها لم تكن تعرف حياة. لم يكن يعلم بحياة أحد. سألتني هند عن سرّ وجودي بالمونديال. لم تصدق أنني أتيت لأجلها. "هل جئت لآكل لك قلبك؟" ابتسمت وأنا أؤكّد. لم تتصور هند أنني فعلاً جئتُ من أجلها ومن أجل أن أدعوها إلى شقة الـ TGM حتى تأكل قلبي فعلاً لعلّه يسكت أو يتّخذ قراراً.

عندما أخبرتها أنني أتيت لكي أصطحبها إلى هناك التهمت النعناع وأشعلت سيجارة وقالت: "هيا اخرج الآن قبل أن تغير رأيك".

في الطريق سألتني: "لديكَ بيرة؟ أريدها ليلة جاهلية".

كانت هناك على الفراش مثل جاموسة نائمة على ظهرها في





"سترينغ" أخضر. ما زالت مغرمة باللون الأخضر وتعتقد وحدها أن عينيها خضراوان. وحدها من يعتقد ذلك. وكنت هناك أجلس في الشرفة أراقب السكّة الميتة: لا قطار يهرع إلى البحر ولا قطار يعود منه. أعود كل مرة إلى بطن هند المنتفخ لأرى حياة تتمدد مكانها ببطن يزداد انتفاخاً مع تحرك الليل ويسأل عن جوابه.

***

تركتها نائمة ونزلت. كنت اتّخذت قراري آخر الليل وأنا في الشرفة يتدلّى مني قلبي الذي مضغته هند ليلةً كاملة.

كنت أجسّ الأرض مثل لصٍّ يخشى أن يستفيق الحارس النائم أو تهجم عليه غيمة ماطرة. لا شيء كان سيثنيني عن قراري. سأبحث عنها، لأسألها أنا أيضاً: لماذا فعلتِ ذلك؟ سأصل إليها حتى لو اختبأت في جَوف الحوت. تركت السيارة في أحد الأنهج. حملتُ حقيبة الظهر. تفقدتُ حزامي الجلدي تحسباً لأي طارئ. وقفت عند محل أشتري بعض السجائر فقد أجهزتُ على علبة المارس الخفيفة. لاحظتُ أنني نسيت الولاعة. طلبت من البائع واحدة. كانت الولاعة صفراء أيضاً. لا أدري أين رميتُ ولاعة البرمان بعد أن أفرغتُ علبة السجائر. خرجت من المحل وقد داهمتني أفكار سوداء كذئاب متوحشة. هل رمتني حياة كما رميت الولاعة؟ لا معنى لذلك الشيء في غياب السجائر. اختفى مبرر وجودها. هل انتهى مبرر وجودي أنا أيضاً؟





كلّ ما أعرفه عنها أنها تسكن المرسى، قريباً من ملعب كرة القدم. ألقت بي سيارة التاكسي هناك. جرّبت أن أهاتفها. كان خطها مغلقاً كالعادة. أخذت أسأل الناس في الشوارع عن صاحبة سيارة كليو حمراء دهستني ودخلت الحي، وتعمّدت أن أعرج حتى أحبك القصة التي اختلقتها. كانوا يواسونني بكلمات وأحياناً باستخفاف. "عليك أن تحمد ربك أنها أبقتك حياً." ردّ أحدهم. "القحاب يقتلن الرجال في الطرق ويهربن. بورقيبة هو السبب." توتّرت من شتمهم لها. ما زلت أحبّ حياة رغم فعلتها الشنيعة؟ اضطربت الأسئلة داخلي. أخرجني أحدهم من شرودي: "كيف ترفض ميتة بكليو! غيرك مات برفسة بغل." نهرني صاحبه واتّهمني أنني أتصيّد تعويضاً. خرجت من المقهى هارباً وجلست تحت باب إحدى العمارات أنتظر أن يكفّ المطر الذي تهاطل فجأةً.





# جماع الحامل

عليّ أن أقول كلّ شيء. ليلة الثلاثاء لم أنم أصلاً. لم أقتنع بما قالته لي تلك الكتب البائسة. قمتُ أحاول من جديد مع إنترنت جارنا. كان يترك الـ Wi–Fi مفتوحاً. لم يظهر تلك الليلة. عادةً ما يعود متأخراً لكنه دائماً يعود. لم أفلح في قنص تردد الإنترنت. فتحت الباب مرات لأنظر. لا ضوء من تحت بابه. كدت أيأس حين سمعت خطاه على الدرج. ركضت نحو الباب أفتحه. كان يترنّح من السكر. عندما رآني أخذ يتقيأ. جلس على الدرج. ركضت إليه بقارورة الماء. جعلته يشرب قليلاً قبل أن أتحامل على نفسي وأتحمّل قرفه فأسندته وسحبته إلى شقته. أدخلت يدي في جيبه أبحث عن المفتاح. دفعني وهو يصرخ بي متلعثماً: "ماذا تفعل أيها المنيوك؟!".

بدا أنه فهم الأمر خطأ فأخبرته أنّني أبحث فقط عن المفتاح. قهقه بطريقة داعرة.

"ها هاع هع المفتاح؟ كلكم تقولون نريد المفتاح. القحبة التي كانت معي كانت أيضاً تُدخل يدها باحثةً عن المفتاح. كلكم





تبحثون عن المفتاح هاها"، وسحب خيطاً من حول رقبته تدلّى منه مفتاح الشقة، "أرأيت أين المفتاح؟ هنا يُعلّق المفتاح. هنا لا يضيع. لا تصل إليه بنات القحبة".

عاد يضحك. ساعدته في فتح الباب ثم أجلسته على كنبة بائسة قريباً من الشرفة. استأذنته في أن أطبخ له قهوة، فلم يقبل ولم يعترض. كنت أخشى أن ينام. بسرعة حضّرت القهوة. جعلته يشربها في جرعات قليلة. "سيذهب عنك الغثيان. ستصبح أفضل". كان ينظر إليّ في استغراب. "لا أحد اهتمّ بي هنا قبل اليوم. أعلم أن وراءك شيء لكنني لن أمكّنك منه. المفتاح هنا في رقبتي"، أعاد الخيط حول عنقه، "المال. ليس لي مال. انظر. انظر".

وقف يترنّح وهو يخرج جيوب بنطاله الأمامية والخلفية ثم سقط فوق الأريكة. رفع إصبعه متابعاً ضاحكا: البنون؟ هاها البنون. زينة الحياة الدنيا. تصور ليس لي أبناء. يعني ليس لي زينة الحياة الدنيا. هل عندك تلك الزينة يا جاري؟ هع هع هع تعرف نحن البشر جراثيم. زينة الحياة الدنيا. وعندما يسألوننا عن الدنيا نقول الدنيا قحبة. ها هع هاع. كيف أفكّر في هذه الزينة. هل سأنجب زينة لقحبة؟ هاع هع هاع. هل لك أبناء يا جاري المزعج. تبدو بلا زينة الحياة. ها هع هاع هع.

لسعتني عبارته في خصيتي الذابلتين، من كان يقصد ابن القحبة؟ لكنني سرعان ما تمالكت نفسي عندما واصل. "أنا أحب الشراب. الفودكا هي الحل" قال الكلمة وتنهّد.





اختطفت الكلمة منه كمفتاح وقلت: إنها عصير البطاطا لا غير.

انتفض يحاول أن يستقيم في وقفته رافعاً ذراعه بصعوبة: "عصير بطاطا؟ تقول عن الفودكا عصير بطاطا؟ اخرج من بيتي. اخرج". قلت له: "هي عصير بطاطا". ظل يصرخ فيّ فقلت متحدياً:

- ادخل إلى الانترنت إن وجدتها غير ذلك سأعطيك قنينة كاملة منها وإن ربحتك أخذت منك عشرين قنينة من البيرة. تراهن؟

- أراهنك وأراهن أباك، قال غاضباً.

- افتح الكومبيوتر، قلت وأنا أعي أنني أوقعته في الفخ.

- افتح أنت. لماذا لا تفتح أنت؟

فتحت جهاز الكومبيوتر النائم على الطاولة: "هات كلمة السر لأفتح النت" قلت. أخذ يملي علي: 1111.

- أربعة 1؟

قال: 1111 ألا تفهم؟ وحّدوه.

ابتسمت. أي رقم ساذج لم يخطر في بالي. كتبت له كلمة على محرك البحث فخرجت له البطاطا تتدافع من قوارير الفودكا. وأمام دهشته، وقفت. "نؤجّل النقاش لوقت لاحق. أنا الفائز. حدّد ليلة للشراب لكن بيرة فقط شراب الشعير. أنت الآن بخير. تصفّح عصير البطاطا هاع هاع هاع" ضحكت مقلداً ضحكته.

سمعته يصرخ: الفودكا بطاطا؟ اللعنة أيها الجار القبيح.

غادرته مسرعاً. دخلتُ شقتي، غسلت وجهي وهربت إلى





جهاز الكومبيوتر. كتبت كلمة السر فانفجر Google في وجهي بالحوامل. كتبت "جماع الحامل". خرجت لي عبارة "فوائد جماع الحامل". قفزت من السرير مصفقاً. الفوائد! اكتشفت أن جماع الحامل فيه فوائد كبرى: "المني ينعش الجنين". "الجماع يسهّل الوضع". تخيّلت نفسي وأنا أمنّ على حياة قائلاً: "تعالي إلى الفراش أيتها الحامل. كُلّي فوائد لوضعك البائس أنت وجنينك".

الأكيد أنها ستضربني بأي شيء في يدها، هي مجنونة كالعادة ولن تتغير. فكرت وأنا أقلّب صور الحوامل العاريات: ربما تتغير. أكيد ستتغير. ستصبح أكثر امتلاءً. أنا أحب المرأة الممتلئة. غيّرت ذوقي فقط من أجل الموضة. علي أن أظهر مع امرأة رشيقة. لقد أصبحت كاتباً محترماً. لا يمكن أن أظهر مع امرأة بدينة. لكن في الحقيقة كان ريقي يسيل كلما رأيت امرأة مدوّرة. أحب بوتيرو ونساءه وأعلّق إحدى النسخ من لوحاته في غرفة نومي. فتحت بيرة وكتبت "porno avec les enceintes" وانهالت علي الحوامل في أوضاع شتّى. لعنت حياة. "كيف تسألين هل سأبقى معك؟ أي جنين رائع هذا الذي سيهبنا هذا العالم من الجنون اللذيذ؟".

قضيتُ أقلّب الصور وأشرب. على ظهرها ترفع ركبتيها وتطلّ من خلف بطنها الذي بدا مثل هضبة. على جنبها وهي تحضن بطنها ككرة ضخمة. وضعية الفارسة وهي بكل ذلك الوزن تعتليني غارقة فيّ. الحلمتان سوداوان. النهدان ضخمان كبطيختين. رأيتها حياة تتعاظم. تتعاظم فوقي. ينتفخ بطنها ويعلو





بينما ينفتح فرجها ويخفق. تحيطه غابة صغيرة سوداء تتعاظم هي الأخرى. كلّما قلّبت الصور يكبر الفرج ويكبر حتى ازدردني وغبت.





# اللكمة والفراشات

اللكمة لم تكن قوية. بل كانت قوية. قوية لدرجة أفقدتني توازني. ربما لم تكن قوية لكنها باغتتني. كيف لي أن أتصوّر ردة فعله، رغم أنني اعتذرت له وهو ينزل الدرج. قلت له: "ليست هي. ليست هي على الإطلاق من أبحث عنها".

لكنه سدّدها تلك اللكمة البكماء.

المطر هو السبب. ليته ما فعلها وكفّ ذلك المطر. لو بقي المطر يهطل ما عدت للسؤال عنها وعن سيارتها الحمراء. ليس أكثر من السيارات الحمراء في هذا البلد. كل امرأة لها سيارة إما أنها حمراء أو تفكّر في تغيير لونها إلى حمراء. ولكن تلك السيارة التي أشاروا لي بها في ذلك النهج، كانت حمراء دامية. طرقت الباب فانفتح جهاز الانترفون يسأل بفرنسية فظة:

– Oui؟

رويت للانترفون بسرعة قصة المرأة التي دهستني وفرّت بسيارتها الحمراء. أليس هبلاً أن تقف أمام الانترفون تروي له مثل هذه الحماقات؟





المهم، انفتح الباب ورأيت. كان عملاقاً يركض في الدرج ساحباً معه امرأةً رفيعة. وقفت المرأة الخمسينية تنظر إلي مستغربة. وأمام دهشتها، صاح فيّ العملاق ذو الفانيلا الزرقاء:

- هل هذه من دهستك؟

لم يمهلني أي وقت لأعتذر عندما راح يكيل لي اللكمات على بطني وجنبي:

- أيها الأوباش، لماذا تزعجون الناس؟

عندما سقطت على الأرض وأخذت أزحف إلى الخلف لمحته يشدّ حزامه ويحاول غلق سحاب بنطاله المفتوح. توقّعت بعد ذلك أنني جعلته ينهض عن قحبته ليستمع لخرافاتي. لو كنت مكانه، ربما سددت المزيد من اللكمات. لكن لكمته كانت مثل مطرقة، ابن العاهر، هشّمت عظمة خدي، ولم ينفع كل ذلك الثلج الذي وضعته على الكدمة. أخذت أشتم، بصوتٍ عالٍ، حياة وفرجها الأسود. لكن الصوت المعتوه عاد ينقر دماغي: أنتَ من فعلت بنفسك هذا.

لم تنتهِ حكايتي مع العملاق هنا، فقد أدار محرك السيارة الحمراء حالفاً برأس أمه أنه سيدهسني فعلاً، ولولا أنني رميت بنفسي على جانب الطريق لفقسني كبيضة. بدا مجنوناً أرعن وتلك المعتوهة التي معه تبكي وترجوه أن يتركني.

لم تكن قحبته قحبة جميلة. كانت شاحبة صفراء كورقة كرفس نُسيت لأسبوع خارج البراد. هذا ما جعلني أرتاح. لو رأى الأحمق حياة لفقس بيضتيه وانتحر. ربما كان رمى بنفسه تحت عجلات سيارتها.





لم تكن حياة مجرد امرأة جميلة. كيف أصفها؟ "حالة من التهور الإلهي" هكذا كنت أقول لها فتغرق في الضحك. كثيراً ما كنت أقول لها غزلاً تحبّه وعادةً ما يكون طريقنا إلى جماع مبتكر. كثيراً ما حلمنا بفراش يجمعنا، ويوم اقتنينا شقة TGM تركنا السرير وتعالقنا في الشرفة. لم تكن بعد نظيفة. تلوثّت ملابسنا وأجسادنا بطلاء الجدران. جماعنا كان جماع شوارِع. كنا نجعل من السيارة، أحياناً، سريرنا. علّمتنا السيارة كيف نتحكم في جسدينا ونمنحهما اللحظات كاملة. الحب عهر، عهر جميل. هكذا كنت أهدّئها كلما باغتتها الحالة وراحت تعوي: جعلتَ مني قحبة. قحبة، يا الله ماذا أفعل هنا؟ لا أصدق. كيف أفعل هذا في السيارة؟

آخر مرة، كنا نتراضع، أفلتته من فمها في ذلك البرد وراحت تندب كعادتها. أمسكتها بقوة من شعرها وأعدتها إليه. "مصّي حياة، أغلقي فمك ومصّي. الطقس بارد". عادت وقتها إليه أكثر هياجاً ونهماً، وعندما قذفتُ في فمها أرجعت عليّ المني ولطّخت بدلتي السوداء.

انتقمت اللعينة. عندما هممت بصفعها ارتمت في حضني تضحك وتعتذر. كانت تعلم أنني تلك الليلة ذاهب لحفل السفارة الأميركية. كنت مغفّلاً عندما اعترفت لها بالدعوة والحفل الذي سيكون على شرف بعض الكتّاب الأميركيين الذين يزورون بلادنا. لا يمكنها أن ترافقني لكن في إمكانها أن تقضي على كل من تفكّر في مرافقتي. القضاء على السهرة بالقضاء على البدلة اليتيمة المناسبة.





حياة هي التي علّمتني وضع البابيون. منذ سنوات لا أظهر إلا بالبابيون. كنت أحتجّ على كعبها العالي ونحن نهمّ بدخول أحد المطاعم. أرتدي سروالاً من الجينز وكنزة صوفية زرقاء فوق قميص رمادي. ألوان كثيرة على ملابس رياضية مع امرأة خارجة للتو من واجهة محل للموضة. كعب عالٍ وطقم قصير فوق الركبتين. كنت أهمّ بالدخول عندما جرّتني إلى ركن وهي تقول: عندي فكرة.

تأملتني مبتسمةً في هبل ثم جرّتني من يدي نحو أحد المحلات، وراحت تقصفني: عليك أن تتغيّر. عليك أن تتغيّر تماماً. وفي أقلّ ما يمكن من الوقت.

أدارتني مثل دمية في كل الاتجاهات. سحبتني وراحت تركض بي في الأروقة حتى وقفت أمام جناح ربطات العنق، وراحت تجرب علي أشكالاً وألواناً غريبة من البابيون: فراشات حمراء وسوداء وخضراء وزرقاء ومزركشة وبيضاء. ألوان وألوان بلا عدد كانت تحطّ على رقبتي وتطير حتى استقرّت ربطة غريبة: مزيج من الألوان يظهر فيها اللون الأحمر كَلَون مهيمن. أدخلت أصابعها في شعري الأشعث وحرّكته حركات دقيقة وخفيفة ثم صاحت: واو! هذا ما توقعته. هذا اللوك الجديد للكاتب.

التفتُّ نحو المرآة. لم يتغيّر مني شيء غير ذلك البابيون الذي حوّلني إلى رجلٍ مضحك. صحت: "ما هذا اللون؟ أبدو كالمهرج فعلاً". أقنعتني حياة، بعد ذلك، أني هكذا أبدو بهيئة فنان دون أن أخسر صورتي القديمة. منذ ذلك اليوم أصبح البابيون لا يفارق رقبتي. عندي حقيبة من البابيونات من كل الألوان. في عيد ميلادها





منذ عام أخرجتها ورميتها على الفراش كالورود ونمنا عليها. سمّيناها وضعية الفراشة. تعالقنا حتى الصباح. وقفت تقول لي: أشعر إنني فراشة وأنّك النار التي ستحرقني.

بعد أسبوع التقينا في موعدنا. عندما أردت أن أقبّلها وأعضّها كما العادة اختطف قبلتي تاتو الفراشة. منذ ذلك اليوم أحسست بتوازنٍ غريب معها؛ الفراشة التي تزيّن رقبتي من الأمام تزيّن رقبتها من الخلف.

هل يقبّلها الآن زوجها من التاتو؟ ليتك تخبرينني أيتها الفراشة.

"أين هي حياة الآن؟ لا أحد يصّدق هذا الهراء، ولا حتّى أنا".

ها هي أعصابي تسترخي. لماذا لا أصدّق وهذه الحبّة الضئيلة التي كانت في كفّي منذ لحظات تفعل بي كل هذا؟

اللعنة على شوبان. ها هو الموبايل يرنّ من جديد؛ رئيس الفئران سيطلب مالاً آخر. لن أردّ عليه ذلك الجرذ.





# هل ستقبّلني في الظلام؟

رمى الصبيّ رزمة مجلات الكارفور في مدخل العمارة بطريقة عشوائية وأقفل عائداً. كنت أنزل الدرج عندما رأيته يتخلّص من حمله بذلك الشكل. ناديته ساخطاً:

– عُد أيها السخيف. كيف ترمي هذه القاذورات هكذا على الأرض وتمضي؟!

التفت إلي وأخرج لسانه لحظة ثم واصل سيره. رأيته يرمي برزمة أخرى عند باب جانبي للمسجد. قلت: الجامع أيها الأحمق؟

التفت إلي مرة أخرى وواصل سيره.

حاولت أن أجمع تلك الأعداد من المجلة. وضعتها في ركن تحت صناديق البريد المهشمة. وقفت عند باب العمارة أدخّن سيجارة وأتصفّح واحدة. انتبهت في صفحة الألعاب لدمية جميلة كنت اشتريتها لسارة قبل سنوات. منذ ثلاثة أسابيع لم أزرها. خلافي مع أمها وصل إلى ذروته، وحتى لا أهشّم رأسها بقارورة الفودكا التي كانت بيدي غادرت البيت. أكلّم سارة عبر الهاتف أو الفايس بوك. سارة كبرت وصارت تفهم. لم تعد تطرحُ أسئلتها تلك:





لماذا تنام في الصالون؟ لماذا لا تراقص أمي؟ لماذا تزوجتما؟ لماذا لا تقبّلها كما يفعل بطل المسلسل مع زوجته؟ الأسبوع الماضي سألتني سؤالاً جديداً: لماذا لم تُطلّقا؟

قلت لنفسي: هذه الطفلة التي كانت تبول على ذراعي أصبحت أسئلتها مربكة. هي الآن في السابعة عشر. هربت من سؤالها مهرجاً: لأنني لا أفكر في الزواج بك.

صاحت: اصمت، قد تسمعك ناديا.

سارة تنادي أمها باسمها ناديا. ناديا هي التي طلبت منها ذلك. لا تريد أن تناديها بماما. تقول إنها لم تعد موضة. بكل بساطة تحولت "ماما" إلى موضة يمكن أن نتخلى عنها. أنا أيضاً تناديني سارة باسمي. عندما طلبت منها وهي في الثامنة أن تناديني "بابا" قالت إنها لن تناديني بابا ما دامت ناديا ترفض أن أناديها ماما.

ناديا زوجتي. أصبحت أضحك كلّما تذكّرت أنها زوجتي. هي، على كلٍّ، إلى الآن زوجتي. صحيح أنها تعيش في بيت والدها منذ انفصالنا، لكنها تبقى زوجتي قانونياً. ما زال اسمي، إلى الآن، يزيّن مضمون ولادتها.

ناديا. المرأة البيضاء الطويلة الواضحة. لا أدري أي حظّ لي مع الطويلات مع أنني أحب القصيرات وأشتهي السمينات. القصيرة والسمينة كانت غنيمة لي دائماً. أبدو أكبر منها بعشر سنوات؛ فكلما ظهرت لي تجعيدة ازدادت هي نضارة. على عكس حياة كانت ناديا ذات وجه صارم وألوانها واضحة: عينان سوداوان ووجه طويل بجبين واسع وشعر أسود ناعم قصته "كوب كارّي".





لا تلبس ناديا الجينز أبداً. تبدو طوال الوقت كمضيفة طيران. أجد صعوبةً كبيرة في إخراجها من هذا الواقع الانضباطي، حتى في البيت. امرأة الواجب. مديرة في شغلها ومديرة في بيتها. عندما كنت أشتغل في صحيفة والدها كانت تناديني "سي كمال" وتفرض على كل الموظفين أن ينادوها "مدام ناديا".

تجيد ناديا تماماً الفصل بين العلاقة العائلية والعلاقة المهنية. وكان ذلك يزعجني كأيّ رجل. كانت لا تتردد في الاحتجاج عليّ أمام الموظفين دون أي مراعاة لعلاقتنا. تعتذر عادةً في البيت ولكنها تصرّ أن العمل هو العمل وعلي ألاّ آخذ ذلك بحساسية. دراستها بالولايات المتحدة بعد الإجازة كانت سبب ذلك. قلت لها مرات نحن لسنا في أميركا وجريدة والدها ليست **نيويورك تايمز** ولا **الواشنطن بوست**. كان ذلك يفلت أعصابها وتتحول إلى ظبية تدافع عن وليدها. هي تعتقد أن سبب الانتعاشة التي عرفتها الجريدة كان عودتها من أميركا وتطبيق معارفها. مع أنها رفضت إلى الآن أن أرى تلك الشهادة العلمية الكبيرة التي تحصّلت عليها. كما رفضت أن تحدثني كيف التحق بها ذلك الملعون وكيف تزوجته وكيف حملت منه في نفس الوقت الذي كانت ترفع قضية طلاق.

ناديا تحب البروتوكول. لا تشرب الكحول. لا تصبغ أظافرها وترى في ذلك قلة ثقافة. لا تستقبل ناديا ضيوفاً في بيتها. تقول إنه في أميركا لا أحد يستضيف أحداً. تلك الزيارات مضيعة للوقت. هوايتها الوحيدة هي الصيد. تنزع ملابس الشغل كل شهرين لتلبس زياً عسكرياً مزركشاً. تحمل البندقية وتخرج لصيد السماني.





أخرج معها ووالدها وصديقه وابنته لنطارد السمانى والحمام في المزارع. وسرعان ما يلتحق بنا ابن صاحب مصنع اليوغرت وابنة صاحب مصنع الحفاضات وصاحبة مصنع معجون الأسنان وزوجة ابن صاحب مصنع الطماطم. وتحول ناديا بمهارة خرجة صيد الزرور والسمانى إلى حفلة صيد عقود الدعاية والإعلان. وكنت أشرب الفودكا وأشتم في خيالي اليوم الذي تزوجتها فيه، ثم بدأت أصطاد أنا أيضاً. دائماً كانت هناك امرأة تملّ أو تترنّح أو تتخلّف أو تلتوي قدمها في تلك الشعاب، وكنت دائماً قريباً أجيب دعوة الداعي.

لم تُخلق ناديا لغير العمل ولم أُخلق له أبداً. عندما أذهب إلى محل الغسيل تقول لي الفتاة هناك: ألن تأخذ ملابس مدام ناديا معك أيضاً؟

ناديا تغسل جواربها في محل الغسيل وتكويها هناك. ناديا تقضي يومها تصطاد عقود الإشهار وتطبّق معارفها التي تعلّمتها في نيويورك وفي الدورات والورشات ببروكسل وباريس ولندن وبرلين وستوكهولم. ناديا تطبّق دائماً معارفها وتنظّم رحلات صيد السمانى، وكنت لا أتخلّف عن موعد الصيد. "البروتوكول يقضي بضرورة حضوري" تقول ناديا. وكانت النساء تتكاثر والأقدام تلتوي وتلتوي وتلتوي.

لم تكن هذه ناديا التي عرفتها أيام الدراسة. عندما اختفت منذ سنوات من الكلية بقيت ألعق أصابعي قهراً كأنما اختطف مني كلب قطعة لحمٍ كانت بصحني. بقيت أركض، كما اليوم تماماً، باحثاً





عنها في كل مكان. لم يكن الـ JFK موجوداً. أخذتني مرّتين أو ثلاث لحانة مطعم "المزار". أرغمتها مرة على دخول بار "غاريبالدي" الذكوري. لم نرَ فيه امرأة يومها. شربت بيرة ثم سكبت الثانية في المرمدة وخرجنا. لم يعد اسمه اليوم غاريبالدي. حتى الحانات في هذا البلد تفقد أسماءها. كانت الحانة تقذف بي إلى أخرى ولم أعثر لها على أثر. مرّ عامان عندما وصلني خبر زواجها في سويسرا. تزوجته. تزوجته السافلة. لم تجد في سويسرا رجلاً غيره. تزوجته ذلك الحقود. ثم انتقلت به إلى أميركا. وصلني خبر زواجهما من نورا السلامي، زميلتها التي تحقد عليها بعد أن أسست جمعية قدماء كلية. كان الحديث عن الجمعية ذريعتها لتأتيني بأخبارها في البداية كأنما تريدني أن أنساها تماماً لألتفت إليها. كانت نورا تعتقد أن ناديا هي ما يقوم بيني وبينها. لا تعلم نورا أنني عندما قبّلتها في ساحة الكلية كنت فقط أثير غيرة ناديا التي رأيتها وقتها تحدّثه في الكافيتيريا. لكنني بعدها أصبحت حريصاً على السؤال عن قدماء الجامعة حتى ثارت في وجهي مرةً وهي تقول: متى ستنساها تلك القحبة؟ لقد تركَتك. إفهم. وهي الآن حامل منه. **إلى متى ستبقى تعيش معها في خيالك كالأهبل؟**

كانت النشرة التجارية ما زالت في يدي عندما وقفت أرنّ لسارة من تحت عمارة جدها. أطلّت من الشرفة بالطابق السابع. لوّحت لها ولوّحت لي. اختفيت بجانب المصعد لأفاجئها فترتمي في حضني. مع انفتاح المصعد صحت محاولاً إخافتها. خرجت ناديا من المصعد في زيّها الرسمي لصيد عقود الإشهار. نظرت إليّ





باشمئزاز وغادرت البوابة، وأنا مشدوه هناك في مكاني. انفتح المصعد الآخر وظهرت سارة. ارتمت في حضني. شدّتني من أنفي:

- أين كنت أيها الأب الصغير؟ هل أشتكيك للشرطة لتأتي وأراك؟

حاولت أن أتعذّر بأي شيء لكنها صاحت في:

- أين ستأخذني اليوم؟

- إلى السينما؟

- هل ستقبّلني في الظلام أيها الرجل؟

تضاحكنا قبل أن نتوقف لحظة، تأملنا فيها الأفق. ككل مرة انطلقنا نتسابق إلى أول النهج .

يومها أشارت لي سارة إلى رجل يلبس برنس أسود تقول إنه ظل يتبعنا من تحت العمارة إلى أول الشارع.





# الكوليزي

بحثنا طويلاً عن فيلم جيد دون نتيجة. زرنا كل ما بقي من قاعات سينما لم تتحول بعد إلى مطاعم للأكلات الخفيفة. لم نجد شيئاً. لا شيء غير أفلام الكوميديا المصرية الهابطة وأفلام الحركة الأميركية؛ نسخ قديمة بالية. قررنا في النهاية أن نشاهد فيلماً تونسياً جديداً كانت تعرضه قاعة الكوليزي. كانت القاعة شبه خالية إلا من ثلاثة شبان وثلاث فتيات يتخندقون في الصف الأخير من القاعة. نظرت إلي العاملة ذات الشعر الأصفر القبيح وهي تلوك الـ Chewing–gum ومدّت يدها تريد نقوداً. كانت نفس السيدة التي مدّت لي يدها قبل سنوات ووضعتُ في كفها خمسمائة مليم وسحبتُ هند المونديال إلى كرسي في زاوية مظلمة. عندما تجاهلتها أطفأت المصباح. كانت القاعة مضاءة قليلاً بجينيريك البداية ولا نحتاج الى مصباح لنعرف طريقنا. ومع ذلك فتحت سارة ضوء هاتفها المحمول. في تلك اللحظة سمعتها تقول: "النيّاك قد بنتو. الرجال هترت. والقحبة تعرف تضوي".

ظلّت العاملة تتحرك قريباً منّا ولم أفهم تحركاتها إلا عندما





صاحت في سارة فجأةً:

- "قومْ على صْدرْ الرّاجلْ يا للّا هذي سينما مهيشِ بْواتا."

انفجرنا ضحكاً. لم يتوقف ضحكنا ونحن نتابع المرأة التي ضبطتنا في وضع مسيء للآداب. طلبت مني سارة أن نغادر فلم نعد قادرين على كبت الضحكة التي توالدت، وبدأنا نزعج مشاهداً يتيماً جلس أمامنا وترك كل الكراسي الفارغة. عند الباب التفتُّ إلى العشاق الستة. كانوا في مكانهم، مع تغيير بسيط، كانت الفتيات ينقرن كالدجاجات حبات القمح من فوق أفخاذ الشبّان الثلاثة. انفجرنا ضحكاً، من جديد، ونحن نسمع صوت جوقة المص. غمغمت قهرمانة الكوليزي لصاحبتها: "دينار لا وجايين ينيكو. وجوه فقر".

في الشارع ضحكنا طويلاً. خاصرتني سارة ونحن نعبر الشارع. قلت لها إن شرطة الآداب ستأخذنا إذا ما رأونا، وعرضت عليها شاياً في شرفة شقتي، لكنها اعتذرت. قالت إنها ليست مستعدة لرؤية البيت الذي أعيش فيه وحدي. سارة، حبيبتي الصغيرة، أخذت مني الحنان وأخذت من أمها الجمال. أخذت منها الاسم أيضاً. ناديا هي التي سمّتها وفق حساباتها الكثيرة. "علينا أن نسمّيها اسماً عالمياً. المهم، عليه ألاّ يبدو عربياً حتى لا يزعجوها في المطارات، وإذا ما عاشت خارج البلاد تعيش بكرامة. أمي أيضاً فعلت هذا معي؛ اسم ناديا اسم عالمي" هكذا كانت ناديا تهذي بالحسابات الدقيقة. لا شيء للصدفة. حتى حملها بسارة كان مدروساً. ضربت أخماسها في أسداسها لتأتي سارة وليكون





المولود أنثى. طبّقت علي معارفها الأميركية ونجحت. لم أعترض على الاسم. اسم سارة اسم جميل، وعندما ذكّرتها بأنّ سارة هي زوجة إبراهيم النبي طلبت مني أن أكفّ عن الخرافات. المهم بالنسبة إلى ناديا ألاّ يشكّ أحد أن اسمها عربي. العام الماضي شاركت سارة في مسابقة ملكة جمال بنات رجال الأعمال التي تنظّمها كل عام "روتاري". تحصّلت على المرتبة الثالثة. غضبت ناديا كثيراً. غادرت "الغرون بلو" ساخطةً على لجنة التحكيم. سارة طويلة كأمها. تذكّرت بعد الحفل أنني لست رجل أعمال. كيف أقنعت ناديا المنظّمين؟ ربما قدّمتها باسم والدها.

**في تلك الليلة عرفتُ حياة.**

كنت تائهاً بين تلك البدلات السوداء والفساتين السواري عندما لمحتها، كانت ترافق رجلاً ستينياً. عرفت الرجل بسرعة. رغم عدم توقعي أن أراه هناك. كان بقامته القصيرة ورأسه الكبير نفسه الذي عرفته قبل أكثر من خمسة عشر عاماً بالجامعة وهو يحدثنا عن الإسلام المبكر وأنواع الزواج في الجاهلية. كانت تبتسم إليه بينما هو يحاول أن يفكّ شيفرة سمكة كبيرة في صحنه. تمنيت أن أنادي ناديا لأعرّفها به وأجعلها تسمع منه قصة سارة وإبراهيم، لكن ناديا كانت هناك بعيداً تمسك بسارة من يديها تهمس لها في أذنها بكلام لا ينتهي. مؤكّد كانت تعطيها خبراتها التي كسبتها من دراستها في أميركا. بقيت أتابع المرأة الساحرة التي تجلس بجانب المفكّر العجوز. جسّدا لي صورة إبراهيم وسارة. وكان علي أن أتدخل لأجعل سارة تتعثر. كانت سمكة كبيرة على المفكّر.





قبّلتني سارة تحت العمارة أمام محطة TGM وأوقفت تاكسي.

ركضت وحدها هذه المرة بينما رفعت رأسي نحو الطابق الخامس.

لم يكن للعمارة مصعد.

لا أدري، يخيّل لي أنني رأيت أحدهم يتبعني.





# شقة الـ TGM

لم أصف لكم عشّي بالطابق الخامس. وحتى لا يحسدني أحد أريد أن أعلمكم أنها غرفة واحدة بشرفة قسّمها المالك بذكاء عجيب إلى ثلاثة فضاءات حتى يعيش بها قط دون أن يشعر بالضيق. ركن صغير للمطبخ وركن بأريكة صغيرة لشخصين، كان علي أن أعتبره من اليوِم الأول صالوناً وأذكره على أنه كذلك، وركن أقل اتّساعاً لكنبة تكفي لكي يتمدد عليها شخص بطول مائة وستين سنتمتراً، علّمتني أن آخذ وضع الهلال. وكان علي أيضاً أن أسمّي هذا الأمر غرفة النوم. وقد فصل المالك بذكائه غير المسبوق الصالون والمطبخ عن ركن النوم بباب من الألمنيوم لا يصل السقف يجري يميناً شمالاً على سكة. هكذا يمكنني أن أغلق الباب على فراشي المبعثر إذا ما باغتني ضيف فلا يرى منه شيئاً. ويبقى الأوكسيجين يتدفق إلي من فوق الباب إذا ما أغلقته علي ونمت. كما يمكنني أن أفتح الباب لتصبح عندي غرفة كبيرة أستقبل فيها أصدقائي بعد أن أدخل الأغطية في درج الأريكة التي يمكنني أن أحوّلها إلى مقعد واحد بعد أن أدخل الجزء السفلي منها في العلوي بطريقة ذكية. سمّاها





مالكها، هو الآخر، بالغرفة الذكية. الغرفة التي كانت في الأصل غرفة الصابون. تجمع فيها عاملة النظافة صفائح الدينول والجافال والمكانس وخرق المسح وتضاجع فيها البواب أو مراهقي العمارة والعمارة المجاورة بدينار. كانت ماخوراً صغيراً حتى أخذ المالك الجديد قراراً بتحويلها إلى غرفة محترمة تليق بمبلغ كراء محترم. وعندما كنت أبحث عن جحر بعيداً عن شقة سيدة الأعمال والإعلام تعثّرت في الاعلان بجريدة زوجتي فركضت إلى الفرصة. وها أنا أتدلى فيها وأنعم برفاهية اللقالق تزداد ثقتي بكفاءة زوجتي ونجاعة الدراسة في أميركا.

للغرفة شرفة كما تعلمون، ويمكنني قضاء الوقت هناك في إحصاء الأرتال الهاربة والقادمة، ومن هناك يمكن أن أربّي الحزن تحت ضرسي المسوّس كما يخزّن أهل اليمن القات في أقصى الحنك.

المرحاض قريب من الشرفة يمكّنني أن أجلس على مقعد المبولة وأتابع حركة الغيوم أو فجور العصافير على سلك الكهرباء.

أحاول منذ ساعة أن أؤجّل الحديث في الموضوع لكني عاهدت نفسي أن أكتب كلّ شيء مهما كانت فظاعته. ليست المرة الأولى التي يحدث معي ذلك. أول مرة أرجعتها إلى السكر والمرة الأخرى قلت إرهاق وهلوسة. لكن منذ أن عدت من جولتي معها وصورتها لا تفارق خيالي. شيء مستحيل ولكنه يحدث. سارة! كيف علي أن أتصرف؟ صوت شقراء الكوليزي ينقر رأسي، وهي تدعوها أن تنهض عن صدري. لماذا خبّأت نصف الجملة ولم





أسجّلها في اليومية السابقة. "وأنت خرّج إيدك يا سيد، تجي قد بنتك".

لم أكن أقصد شيئاً. مؤكّد. نعم أدخلت يدي تحت قميصها وربتُّ على خصرها، كما كنت أفعل وهي صغيرة. هذا لا يعني أنني... حمّالات الصدر هي التي اصطدمت بأصابعي. لم أتعمّد ذلك. لا دخل لهذا الحادث العرضي بدعوتي لها لشرب الشاي في الشرفة. حادث عرضي كما ذلك الذي جعل كفي تصطدم بعجيزة أمي وأنا طفل. كثيراً ما اصطدمت كفي بعجيزة عمتي وزوجة عمي وزوجة خالي. لا أحد احتجّ ولا سقط عليّ كل هذا الحزن. عجيزة حياة وحدها ما كنت أمدّ كفي إليها متعمداً وأضربها وكانت تصرخ: "قلت لك لا تضربني هناك أيها الأحمق. الناس ينظرون". عادةً ما أجيبها بضربة أخرى فتضحك.

لا رسائل منها ولا خبر عنها. وأيام الأسبوع تتساقط مني، عليّ.





# لم تعجبني هذه المرة

عندما عدتُ منذ يومين إلى الشقة وجدتُ أنّ هند قد رحلت وتركت لي رسالة؛ ورقة كتبت عليها بخط رديء: "لم تعجبني هذه المرة".

كنت تركتها في الفراش ونزلت أبحث عن حياة، بعد أن تركتها تلك الليلة وبقيت في الشرفة أشرب حتى الفجر. باغتتها الدورة الشهرية وقد وجدت ذلك مناسباً تماماً لكي أتخلص منها. قلت: "أحتاجك الليلة لنتحدث"، لكنها أدخلت كفها إلى حقيبتها وأخرجت علبة بنفسجية صغيرة للواقي الذكري وقالت: "لنجرّب هذا. الدم قليل. لا يمكن أن نقضي ليلة بيضاء بعد كل هذه السنوات".

لم تكن هند تعلم أنني لا أطيق الدم كما لا تعلم هند أنني ندمت على اصطحابها. أعادت لي عرضها القديم تلك الليلة. منذ أن عرفتها تصرّ هند أنني خُلقت للتمثيل لا للكتابة لذلك علي أن أجرّب السينما. أصبح لهند نفوذ كبير عند المخرجين، لذلك يلوذ بها الممثلون الشبان طمعاً في فرصة. مثابرة هند على قهوة الموندیال جعلها تأمر وتنهى، وهي التي توظّف نادل المقهى،





وتتدخل لتصالح هذا الممثل مع ذلك المخرج أو تطلب من الآخر أن يأخذ تلك الفتاة أو ذلك الشاب في دور صغير. هند ملكة الكاستينغ. كل كومبارس أفلام التسعينيات قد خرجوا من فرج هند. قلت لها مرات إنني لا أنفع لكنها كانت تصرّ أنني لن أنجح إلا في السينما.

هي التي أدخلتني إلى التلفزيون. هي سبب كلّ هذه الثروة، ورغم نذالتي معها ومعرفتها ببعض فئران القبو لم تبتزني ولم تمنّ علي يوماً بما فعلته من أجلي.





# عطر زوجته

ما جعلني أترك هند وأقضي الليل في الشرفة هو عطرها القوي. تعوّدت على عطر حياة الخفيف مثل نسمة. يوم في الأسبوع كان كافياً لأعيش برئتين ونصف. حياة هي من رمت عطري من النافذة واختارت لي عطراً جديداً.

راحت حياة ترشّني على كورنيش البحيرة والناس يتابعون جنوننا. اختطفت منها العطر:

– لماذا هذا بالذات؟

– هذا عطر مجنون مثلك.

– ألم يعجبك لاكوست؟

– ليس سيئًا لكني أريد أن أمحو أثرك.

ظلت حياة تهديني نفس العطر. حتى بتُّ ليلةً وأصدقائي عند صديق هجرته زوجته فذهبنا جميعاً نهنّئه وقمنا صباحاً نرشّ عطره. انتبهتُ يومها أنه موعد حياة. لم أتخلّف عن موعدي معها يوماً لكن الشرب الكثير خطف مني الموعد. ركضتُ نازلاً السلّم حاملاً حذائي في يدي وكنزتي الصوفية على كتفي. وقفت في الشارع





أنتعل الحذاء وأُدخل رأسي في رقبة الكنزة الضيقة، محاولاً التقاط تاكسي.

نزلتُ من السيارة. رأيت حياة تتكئ على سلسلة الحديد أمام الماء. قبل أن ألمسها التفتت إلي غاضبةً وصاحت:

– أين كنت، أين؟ عطر أية قحبة هذا الذي عليك؟

رويت لها الحكاية وحاولت مرات أن أقنعها بأنه عطر صديقي دون جدوى. اكتشفت بعد ذلك أنه عطر زوجته التي هجرته.

كانت حياة قد جاءت في موعدها. قدّمت لي العطر الشهير نفسه وقالت:

– لا تنسَ أن تضعه كل يوم ولا تنسَ أن تغتسل منه قبل أن أراك. اغتسل منه كما تغتسل من برازك. فلتنعم قحابك الغبيات بعطرك وسأتمتع وحدي برائحتك.

كان عطر هند تلك الليلة لا يُطاق.





# السافل تودوروف

"سأقود أنا الآن". جملتها التي رمت بها إليّ ذلك اليوم ولم أنتبه إليها، بدأت أفهمها. لم أعد أدير شيئاً. تركض بي الأيام كعربة بلا فرامل، وتطوّح بي الريح كطائرة ورقية أفلتتها يد طفل.

كنت في باب قاعة المحاضرات بمدينة العلوم أبحث عنها. كان هو يقف هناك في الجهة اليمنى. نساء كثيرات كنّ يلتقطن الصور معه كنجم كرة قدم أو مغنّي روك. وكان حريصاً على أن يظهر عابساً، يطلق شعره الأبيض الطويل في الجهتين. خارج القاعة عرض علي أحدهم أن أشتري نسخة من كتابه الجديد الذي سيُمضيه إثر المحاضرة. قرأت بالفرنسية العنوان الكبير المطبوع على الغلاف الأمامي **أعداء الديمقراطية الحميميون**. أعدت الكتاب إلى مكانه فوق رزمة النسخ على الطاولة واعتذرت بلطف.

اتفقنا قبل أسابيع أن نحضره معاً. هذه زيارة نادرة يقوم بها مفكّر بحجمه. علينا أن نستمع لوجهة نظره في ما يجري لنا في هذا "الربيع الأسود". كنت حدثتها عن هذا البلغاري النحيل طويلاً، لكنها ضحكت عندما رأت صورته على الأيياد. "نحيل جداً"،





قالت ضاحكةً، "يبدو أنّ كلّ الفلاسفة هكذا. أنت أيضاً مشروع فيلسوف بنحولك".

لم تجعلني سخريتها أتوقف عن استعراض معارفي عنه، وأنا أورّق صوره وصور كتبه . قاطعتني:

- يبدو ثعلباً. في عينيه شيء.

قلت بكل ثقة: ذكاء.

ضحكت حياة بتعهّر: لا، شيء آخر.

اليوم وأنا أتابعه يدير عينيه الصغيرتين هنا وهناك تذكرت كلمتها. مسحت بعيني القاعة وجهاً وجهاً دون أن أعثر عليها. شيء ما كان يقول لي إنها موجودة أو إنها ستأتي. بدأت المحاضرة ليخيّب تودوروف ظنّي، وراح يقرأ ككل الصبيان من الورقة ملخّصاً كتابه بشكل مملّ. التفتُّ نحو البوابة لأراقب الداخلين والخارجين. وفجأةً رأيته يدخل مترنّحاً. كان وحيداً. يتأبّط نسخة من **أعداء الديمقراطية** ويسحب قدميه بصعوبة على الأرضية الزرقاء. قفزت فتاتان من جنبي وركضتا نحوه؛ فقد جاء مفكّرنا. لم تكن حياة معه. أوصلته المضيفتان إلى مقعد أمامي مقابل تودوروف تماماً. ابتسم البلغاري للمفكّر ابتسامةً صغيرة وعاد إلى ورقته.

بدت هذه المحاضرة مملّة أكثر من سابقتها التي ألقاها بنفس القاعة في أكتوبر الماضي. كان مشوّشاً كما لو أنه تلقّى تهديداً بالقتل، ينظر يميناً وشمالاً متعثّراً في جمله فلم يغادر ورقته ولم يرتجل شيئاً كما لو أنّ كاتباً آخر هو من أعدّ له المحاضرة.

كان المفكّر الذي جلست قريباً منه يُدخل يده إلى جيبه ويُخرج





كل مرة المنديل البني ليمسح الريق الذي ينفلت لاإرادياً من جنبي فمه. هل كان الريق يسيل بسبب شيخوخة المفكّر أم كان يسيل من أجل فكرة أعجبته، سبقه إليها تودوروف؟

هذا ما كنت أفكّر فيه عندما رفعت رأسي أتفقّد البوابة ولمحتها. كانت تقف هناك. تبحث عن الشيخ بكل تأكيد. اندفعتُ نحوها راكضاً، ركضت هي مدبرةً ووقفت الصفوف تتابع. التفتُّ لحظةً نحو تودوروف وقد فقدتُ صوته عبر الميكروفون. كان قد توقّف عن الدفاع عن الديمقراطية. عندما وصلت البوابة كانت حياة قد اختفت. ركضت في كل الأروقة أبحث عنها. ذابت كحبة ملح. الشاب الذي كان يبيع **أعداء الديمقراطية** أشاح بوجهه عنّي عندما هممتُ أن أسأله عن اتجاهها.

عدت إلى القاعة، كانت المحاضرة قد انتهت وعادت ميكروفونات الصحفيين وموبايلاتهم تتراقص فوق رأس رجلٍ لم أعد أرى منه إلا فروة شعره الأبيض. بقيت أبحث عن المفكِّر العجوز. لم أعثر له على أثر. تدافع الجميع لالتقاط الصور وأخذ توقيعات **أعداء الديمقراطية**. لم يوقّع تودوروف إلاّ نسخاً قليلة.

رأيته يهرب من المعجبات من باب خلفي للقاعة. ركضت نحوه فأوصدوا الباب في وجهي. أخذ النساء يرمين الباب بكتبه التي جئن بها للتوقيع. كنت عند الباب وكنّ يرجمنني بكتب ذلك اللعين. **ذاكرة الشر إغواء الخير والفوضى العالمية الجديدة وفتح أميركا والخوف من البرابرة**... طار كتاب حادّ في السماء حاولت تفاديه فشجّ رأسي





آخر وسقط في يدي مضمخاً بالدم؛ **الأدب في خطر** كان دقيقاً كمشرط ابن الكلب. رميتُ به نهداً هائجاً يصرخ في البوابة شاتماً البلغاري. انحنيت واندفعت بين السيقان الطويلة لمانكانات مدينة العلوم، وركضت أريد أن أخرج من المبنى. غير أن الرواق أخذني إلى متاهة خالية وصرت أصرخ باحثاً عمّن يرشدني إلى المخرج. أفتح أبواب المكاتب فلا أجد أحداً. لا أحد على الإطلاق. تطلّ عليّ الميكروسكوبات من المختبرات المهجورة، والديناصورات المعطبة كانت تضحك وتُخرج لسانها في شماتة، وأنا أركض، حتى دفعت بذلك الباب اللعين ووجدتهم... كلهم كانوا هناك!

تودوروف يقف وراءها وسرواله عند الكعبين يضاجعها في وحشية، والمفكّر يلعق ساقيها الطويلتين. كانت حياة منحنية تلعق ميكروسكوباً مثبتاً بمكتب صغير وهي تتلقّى رهزات تودوروف. فجأةً تدافعت مئات المعجبات حاملات نسخ **أعداء الديمقراطية** يتابعن من خلفي ومن حولي الثعلب البلغاري يرتعد خلف حياة، تتدلّى منه خصيتان ذابلتان. لمحت تحتهما على البلاط كتاب **روح الأنوار**. تقدمت من تودوروف الذي كان ينحني مع كل رهزة لينفتح ثقب مؤخرته ويخرج منه تيار ريح ساخن. أخذت النساء يشجّعنه ويصرخن بالآهات، وتودورف يزداد توتراً وثقبه يزداد اتّساعاً كلما انحنى، حتى جرفني التيار الساخن إلى تلك المغارة وازدردتني.

كنت أشهق باحثاً عن ذرة أكسيجين عندما نهضتُ ووجدتني أتصبّب عرقاً على الأريكة في غرفة النوم. مددتُ يدي وفتحت باب





الألمنيوم ورميت نفسي إلى شرفة ديسمبر الباردة.

الدواء. حان موعد الدواء.





# مبولة الانترناسيونال

أقلّب منذ ساعتين ألبومات جمعت فيها صور ومقالات القضية. كنت دفنتُ الألبومات في وسادتي الحمراء التي رميتها فوق الخزانة. اعتقدت أن الأمر انتهى هنا. لم أتوقع أن أراه هناك. لا أدري أي لعنة جعلتني أدمن تلك العادة السيئة: "التبول حدث عظيم. الأمر الوحيد الذي يتكرر كل يوم بنفس العظمة لذلك علينا أن نحتفل به"؛ "لن أتبول إلا في مكان يليق ببولي"؛ "لن أرمي تلك البيرة التي تخرج مني في أي مكان"، كنت ألعلع في الشارع الكبير كلما قررت أن أدخل فندق الانترناسيونال لأتبول. يضحك الأصحاب وأركض نحو الباب البلوري وأدخل الفندق. اليوم أيضاً دخلت الانترناسيونال وتوجّهت إلى مبولته الجميلة. مبولة الانترناسيونال أرقى وأفخم شيء فيه.

أو هذا ما بقي منه بعد الثورة. مبولة الانترناسيونال ظلّت وفية للموسيقى التي تطلقها من مضخّمات الصوت المزروعة بإحكام في السقف. لم يكن يعنيها نظام ولا انتفاضة. بقيت وفية لأنغامها المحايدة والأبدية. لم تكن مبولة الانترناسيونال مبولة للتونسيين





لتغيّر أنغامها؛ كانت مبولة أيٍّ كان. مبولة كونية. تبوّل فيها الياباني والألماني والفرنسي والإيطالي والإسرائيلي والفلسطيني والعراقي والكويتي واليمني الشمالي والجنوبي والأميركي والكوبي. لم تحمل المبولة أحقاد الحرب العالمية، لا الأولى ولا الثانية ولا الحرب الباردة ولا حتى نكسة 67 ولا حرب الخليج ولا فرحت بذكرى استقلال ولا رحّبت بانقلاب ولا حملت أحقاداً محلية. كانت مبولة الانترناسيونال مبولة الناس جميعاً، وهذا ما سقط من ذهني فلم أتوقّع أن أراه هناك. كنت أعضّ على شفتي رافعاً رأسي للسماء كعادتي ماسكاً بذكري الممتلئ مثل جرّة عندما لمحته، وكان خيطُ الجريمة وقرار التنفيذ قد لاحا في أفقي منذ أيّام ولم يكن بدّ من التّطبيق.

بصق الملعون في مرمى ذكره أين كان يحاول أن يثقب الرخامة بمدفعه، وابتسم لي. ثم مال نحوي قليلاً وهمس: "ادفع لي ثمن بيرتين"، وعاد لابتسامته السوداء من جديد.

لا أحد كان يمكن أن يفهم تلك الابتسامة غيري. كانت إعلان قيامة. عاد الوحش جائعاً.

بوخا الذي رشّحتُه للمهمّة لم يكن سهلاً. كان يعلم أنه استثنائي في ذلك العالم. بوخا وحده القادر على انتزاع كبد الشيطان. وقد حان وقت انتزاع كبد الشيطان.





# كمال وأنا

بدأت حكايتي مع سميّي ذلك اليوم؛ عندما نادى أستاذ الحضارة اسمي. رفعت يدي ووجدت آخر في الصف المقابل يرفع يده.

- أنا هو، قلت.
- أنا هو، قال.

أعاد الاستاذ المناداة. رفعنا أيدينا معنا. "أنا" انفجرت من الفمين.

اسم واحد ولقب واحد على قائمة أسماء الطلبة أمام عجوز الحضارة.

- من منكما كمال؟
- أنا، سبقني هذه المرة.
- أنا، قلت مؤكّداً.

نادى الأستاذ بالاسم واللقب.

- أنا، صحنا معاً في الوقت نفسه والتفتنا لبعضنا، كل واحد منا يريد أن يمحو الآخر.

هكذا زرع حقد عظيم بيننا. أمام أستاذ الحضارة العجوز ليس





هناك مجال لكي أكون ولكي يكون: إما أنا أو هو. هذا ما قالته أصابع العجوز وهو ينادي موظف إدارة الجامعة. فكّ الموظف اللغز بالعودة إلى تاريخ الولادة. أخرج كمال من جنّته واقتيد صاغراً إلى فصلٍ آخر؛ فأنا بالفعل من كان على القائمة. عندها رأيت الحقد ينمو؛ حقد لا مبرر له في الواقع. مجرد خطأ ومجرد تشابه أو تطابق في الأسماء، لكنه كان قدراً مشيناً.

***

لم تشهد الجامعة على امتداد تاريخها عداوةً مثل تلك العداوة. اتّجه كمال إلى اليمين عندما رآني في اليسار، ودخل بسببي الحانات والمراقص ليهزمني في شرب البيرة وفي الرقص. كان يصارع من أجل أن يفتك منّي معجبة أو يحوّل وجهتها نحوه. كان يتركها عندما تكتمل اللعبة. كمال كان وسيماً ولم أكن كذلك، وهذا شكّل له عقدة تفوّق ربما هي سبب كل تلك العداوة، فربما كان من المنطق أن أخرج أنا الأسمر الذي أميل إلى الزنوجة لا هو الأبيض التركي. لكن زنوجتي كانت أيضاً سبباً في شعبيتي في الجامعة، خاصةً أنني عالجتها بابتسامة عريضة طوال الوقت.

عندما فاجأت الجميع بإصدار روايتي الأولى **الشلّاط**، أقسم كمال بأغلظ الأيمان في بار "المألوف" ألاّ يتركني أنجو بفعلتي. هكذا أخبروني لاحقاً يوم حفل التوقيع كان يتابعني من خلف نافذة الكافيتيريا. كنت أوقّع روايتي للمعجبين. وضعت طاولة قريبة من





المبولة. كان دائماً هناك من يخرج من المبولة أو يدخل إليها وكانت الطاولة محطة الداخلين والخارجين.

بعد يومين من الانتشاء اعترضتني عيون الطلبة حائرة كأنما تنتظر أمراً ما. كانت جدران الكلية ملطّخة بصور مقال نقدي موقّع باسم كمال وغلاف روايتي. قرأت المقال. كان كاتبه كما وحش يمزّق فريسة، دقيقاً كمشرط جرّاح خبير. كان محبوكاً كقنْبلة رائعة. كنت أتصبّب عرقاً وعروقي تنتفخ تحت الجلد كلّما تقدمتُ في قراءة المقال. المربك أنّ كل ما قاله كان دقيقاً وأكاد أقول صحيحاً. مرّ أمامي وأنا رافعٌ رأسي أقرأ المقال المثبّت على بلّور النافذة التي كان يقف وراءها قبل يومين يدخّن في حياد. كان الطلبة كلهم يراقبون ما يجري أمام الكافيتيريا.

***

قمت كملاكم عنيد. ابتسمت للجوع في المرآة. كنت قد استقبلت زميلة أهدتني صورة غابرييل غارسيا ماركيز يطلق ضحكةً عريضة بعين متورّمة. كانت الصورة قد التُقطت له إثر تعرّضه للكمة من غريمه يوسّا. قبل أن تغادر الفتاة نزعتْ صورة كبيرة بالألوان لوالدتي كنتُ ثبتُّها على الجدار منذ سنتين ووضعتْ مكانها صورة ماركيز. وأمام دهشتي وضعت سبابتها على فمها وقالت:

- اسسسسسسو. من الآن فصاعداً تحتاج هذه الصورة أكثر من دعاء أمك.





صحت فيها: أعيدي الصورة قبل أن أنيك أمك الآن.

بنفس الهدوء قالت: تريّث. فكّر جيداً قبل أن ترتكب أية حماقة. أما ما وعدت به أمي فأنا أولى به. أمي ماتت.

ضربتني على كتفي فسقطتُ على مؤخرتي. قفزت فوقي. فكّت حزام البنطال وسحبته إلى تحت، وراحت تمصّه حتى انتصب. حشرته في شيئها الساخن. عندما انتهيت وقد فاض منيّي عليّ بسرعة، أخرجت منديلاً ومسحت لي المنيّ بعناية من فوق شعر عانتي. نشّفت ذكري ونزلت، قبّلته فنام. أخرجتْ منديلاً ورقياً جديداً، مسحتْ به فرجها. وضعت كل ذلك في كيس قذفته في حقيبة يدها وغادرت.

رأيتها مرات قليلة من بعيد في كافيتيريا الجامعة قبل أن تختفي. تركتني وحيداً في مواجهة اسمي الذي ظلّ يشتمني في الصحف قبل أن يدقّني في الجدار ويرحل هو الآخر لأبقى أتدلّى من السقف مبحلقاً في عين ماركيز المتورّمة الضاحكة كمومس عائدة للتو من حانة أنذال.

نسيت أن أقول لكم إن تلك المرأة ستصبح زوجتي يوماً، ولكن السافل أيضاً سبقني إليها وتزوجها قبلي.





# ايفو عرّاب النوم

كنت في حاجة للنوم. سحبت علبة بيرة يتيمة ووضعتها أمامي. الحيلة التي نصحني بها صديقي المحامي اليهودي كانت ناجعة. كنا نشكو من قلة النوم. قام ايفو ليلةً بعد أن أزهق روح البيرة التاسعة كالمرافع في قضية: "أصدقائي الحمقى رفاقي المنيكين إذا أراد الواحد منكم أن ينام فليشرب بيرة واحدة. واحدة فقط وكأساً من البوخا وسيسقط كجذع شجرة".

ضحكنا منه واتّهمناه بالسخافة وبالبخل: ها هو بخل اليهود. لكن عندما عدت إلى البيت جرّبت الوصفة فنجحت. لم أخبر الأصدقاء. كنت أعلم أنهم فعلوا الأمر نفسه. كانت وجوه الأنذال في اليوم التالي نضرة مشبعة دماءً وعيونهم صافية كبحيرات صغيرة وهم يتمايلون على صوت الشيخ العفريت. الواضح أنهم شبعوا نوماً، ورغم ذلك لم يشكروا اليهودي الذي ظلّ يبتسم وينصحنا كل مرة نصيحةً جديدة لمعالجة الشقيقة والإسهال والقبض والاكتئاب وتقوية النظر وتكبير الذكر وتطهير الفرج إذا ما اشتكى أحدنا من نتانة فرج شريكته. كنا نجرّب تلك الوصفات وعادةً ما





تنجح ولا نشكره.

نحن في النهاية أولاد قحبة، وكان ايفو يعلم ذلك لذلك كان يشتمنا وهو يقدّم لنا النصيحة كمن يأخذ أجره مسبقاً.

عندما سألته يوماً عن سر ولعه بالطب والتطبّب وهو المحامي قال: "لأني أعلم أنكم ستتركونني أموت ككلب إن سقطت مريضاً. أعلم أنكم أولاد قحبة. رأيتكم تتخلّون عن بعضكم. ستقولون: "يهودي، كلب"، وسيخرج منكم من سيفتي بتركي أموت. تأتون الآن لأترافع عنكم لأنكم جربتم أهل ملتكم ووجدتموهم متحيلين. غداً لن يبقى لي شيء يجعلكم تهرعون إلي. لذلك أجمع وصايا أمي في دفتر حتى لا أبقى رهينتكم وأموت موتة آدمية".

قام وأسكت صوت حبيبة مسيكة التي كانت تغنّي تلك الليلة: "... نقطع التنهيدة من وسط قلبي".

- هيا اذهبوا الآن إلى الجحيم.

كثيراً ما طردنا ايفو لكنه كان يصالحنا كل مرة أو ربما لم يكن لنا خيار آخر. لا أحد كان يحتمل عربدتنا.

صحنا معترضين ليلتها ونحن نعلم أننا فعلاً كذلك. مثّلنا دوراً لأيام ثم نسيناه من جديد. كنا نسأل عنه متى تغيّب عنا فيضحك: "تتفقدونني؟ لم أمت بعد يا أولاد القحبة. ما زال في دياركم يهودي. ما زلتم تحملون عار أمتكم. **جهّزوا البيرة أنا قادم بالبوخا**".

صديقنا القومي الذي يزور صديقته بشارع الحرية، ليأكل من يديها الكسكسي كل يوم أحد، يعلم أن اللحم الذي يمزّقه اشترته من محل القصاب هارون اليهودي القريب من شقتها، لكنه يدفع





بيديه الكوكا كولا لأنه ينادي بمقاطعة المنتوجات الصهيونية. عشيقته قحبة بما يكفي لكي تلاحظ قحبه وسألته عن رأيه في اللحم، فأخذ يمتدحه. عندما أخبرته أنه من محل هارون اكتفى بقوله: "الباهي والخايب في كل مكان وعم هارون كبر على صوت القرآن من جامع الفتح".

بعد أن رأيت بوخا بالانترناسيونال تذكّرت ايفو. طلبته لم يجب. توقّعت أنه يضاجع صديقته الإيطالية أو يعشّي قططه في حديقة البيت. أمران فقط ينسيانه العالم: القطط والفرج الإيطالي. أجابني يوماً عندما سألته:

– لماذا إيطالية؟

– تمنيت أن تكون ألمانية. حرقونا أولاد القحبة، أريد أن أنتقم منهم. أريد أن أحرق فروج نسائهم.

صحت فيه: "أنت أيضاً مطبّع، سيقتلك اليهود يوماً فلا تلصقها بنا".

شربت البيرة الوحيدة ونمت مبتسماً من ذكر ايفو. في تلك الليلة عادت لي هلوسات سارة، ورأيت بوخا في المنام يقدّم لي كبد النذل. كانت أصابعه تقطر دماً من تلك القطعة السوداء اللزجة التي كان يمسكها.





# سأتخلّص منه

اليوم بدأت أفكّر في الأمر بجدية. نبتت الفكرة في رأسي مثل الدمّل؛ مثل حبّ الشباب في وجه مراهق. أخذت أجرشها حتى احمرّت وصارت بشعة. لم تكن الفكرة قد راودتني من قبل. فكّرت كثيراً في الانتحار أثناء مراهقتي. كنت دائماً جاهزاً له. عندما اختفت حبيبة طفولتي التي رحلت مع عائلتها إلى المدينة، علّقت حبلاً في صنوبرة وجرّبت أن أتدلّى. لم أكن جاداً، فقط كنت أمثّل دور المقدم على الانتحار. كانت هناك مجموعة من لصوص الغابات يمرّون بالحطب قريباً منّي وأردت أن ألفت انتباههم.

اليوم قررت أمراً آخر. لم يعد يعنيني الانتحار وأعتبره سلوكاً رعوياً. الرعاة والفلاسفة هم فقط من ينتحرون. هم ينتحرون لأنهم يتماهون مع أغنامهم والفلاسفة أيضاً لا يشغلهم إلا الموت وينتهون منتحرين متماهين مع أفكارهم. الفلاسفة رعاة والأفكار أغنام الفيلسوف. أما أنا فقد نجوت مرة من مصير راعي الأغنام ومرة من مصير راعي الأفكار.

ما فكّرت به اليوم لا يجرؤ عليه الرعاة؛ إنه القتل. التخلّص منه





وإلى الأبد ذلك الناقد البائس.

عاد يطالب بكلّ شيء من جديد، عاد ليدمّرني من جديد بعد سبعة عشر عاماً، يريد الدجاجة والبيضة، ناديا وسارة.

أعلم أنها لم تعد لي، فقد رأيتها مع أوغاد كثر، حتى ذلك السافل حسن رأيته يركب الكليو الحمراء. سارة، أين هي سارة الآن؟ من تلك التي تعود للبيت فجراً ثملة؟ امرأة أخرى تلبس فساتينها. تشتمني السافلة وترميني بحذائها وترتمي على الأريكة وتنام.

منذ أيام لا أفكّر في غيره. رؤيته جاحظ العينين على السلّم. سيكون منبطحاً على وجهه، ولأتأكّد أنّ كلّ شيء تمّ كما أريد سأسحبه من كتفه لينقلب على ظهره. ها هو؛ عيناه عائمتان في السماء وخيط الدم الأسود يربط الصدغ بأقصى الفك السفلي.

حياة؛ أنتِ من يمكنها أن تفهمني. **هل سمعت بعشاء الموتى؟** إذا لم تسمعي فاعلمي أن الموتى لهم عشاء أيضاً، وكنت في طفولتي من يأكل عشاء الموتى. اليوم أفكّر أن أخرج عشاءً لهذا المسكين إن نجحت في قتله، وأنتِ شاهدة الآن على هذا الوعد. حياة، عديني أن تأكلي أنتِ عشائي وعشاء هذا القتيل. عليكِ قبل كلّ شيء أن تُخرجي عشاءنا. اختاري لحماً جيداً. حذارِ أن يغشّك الجزار ابن العاهر. ضعيه أمام الباب وكلي على مهل. إياكِ أن يأخذكِ الفكر فتأكل لحمي قطط ذلك اليهودي. إني أراك.

**حياة؛ هل أقتله بالرصاص أم بسكين أم بصخرة أم أدفعه أمام قطار أم أدفع لمن يأتيني بكبده؟**





# JFK

كاد رأسي ينفجر. كنت في حاجة للحديث مع أحد، لكن لم يكن لي من أحد أثق به. لم يكن من أحد غير ايفو، لذلك دعوته على بيرة بالـ JFK. لم أقل إنني أصبحت أتردد على هذه الحانة منذ سمعت أن سارة تتردّد عليها. كان يجب أن أعرف ما يحدث منذ أن عادت إليّ ثملة. كان يجب أن أتعقّبها وأعرف أين تذهب. فعلها ستيلا ابن العاهرة. أحسست في كلامه غمزاً في المرة السابقة. كان يلمّح لشيءٍ ما. الآن فهمت. ابن الكلبة لم ينسَ حقده القديم. كيف لي أن أقنعه أنني لست سبب رفض عائشة له. لم تقبل به يوماً ولن تفعلها حتى لو لم تعرفني. كثيرون من الرجال للأسف حمقى. كلما رفضت أحدهم امرأة اختلق رجلاً آخر حمّله سبب فشله. لم أضاجع عائشة سوى مرتين أو ثلاثاً ولم تكن عائشة سوى عشيقة عرضية. لا أدري من من أولاد القحبة وشى له بهذه العلاقة العابرة، كل ما يمكنني أنّ أؤكّده أنّ عائشة لم تكن سوى المرأة الخطأ في المكان الخطأ في التوقيت الخطأ. لذا سرعان ما نسيتُها وها وجهه وكلامه يذكّرانني بها وبحقده





القديم من جديد.

سمعت أن عائشة أصبحت محامية كبيرة. رأيت صورتها أكثر من مرة في الصحف. كانت سترفضه في كل الحالات.

أتيت اليوم لأبحث عن سارة التي أصبحت تتغيّب عن البيت على الدوام دون أن تخبر أحداً. ستيلا الحقير أنكر ذلك. قال إنه لا يعرفها، وأنه لا يسأل حرفاءه عن هوياتهم لكي يعرف أنها ابنتي. كنت سأحطّم رأسه بقارورة البيرة لولا ايفو الذي أمسك بذراعي. كلّ من في الحانة كان يشاهد ما يحدث. لم تعد تعنيني الفضيحة فأخبار ناديا وعشاقها تملأ الصحف كل يوم، وفي النهاية لست سوى زوج القحبة البرجوازية. ربما هكذا فكّرت سارة أيضاً، فهي ليست سوى ابنة قحبة الصحف. ايفو أيضاً أراد أن يستغلّ الأمر وطلب يدها. ابن اليهودية يريد أن يتزوج سارة. يطلبها مني وكأنه يقول لي إنه سيسترها. اليهودي النتن يريد أن يتزوج بطفلة. لو تزوج لأنجب طفلة في سنّها. صحيح أنها تكوّرت وبدتْ في ظاهرها امرأة كاملة، لكن طول قامتها الذي ورثته عن والدتها ساعدها على نضجها.

عدتُ من الحانة وأنا أرتجف من الغضب. لم أسمح له أن يخطو معي خطوة في نهج مرسيليا عندما تركت الحانة.

فهمت الآن، ما إن أخبرته أنني منشغل بأمر ما حتى طلب رؤيتي فوراً. كان يترصّد الفرصة لينقضّ علي في لحظة الضعف. كنت أحسب أنني أهرب إلى صديق أشكوه همي فإذا به ذئب يبرد نابه.





كنت أريد أن أحدّثه عمّا يحدث لي من اضطرابات وتلك الاستيهامات التي أراها وتلك الأصوات الفظيعة التي أسمعها طوال الوقت، لكنه أسمعني شيئاً أفظع.





# بوخا يهشّم رأسي

- تريد التفاصيل؟

ضربتُ وجهه بهذه المطرقة فكسرت جمجمته. عندما أراد أن ينهض عالجته بضربة أخرى على أذنه هكذا. سقط النياك لكنه لم يمت. كانت عيناه تقولان كلاماً كثيراً، لم أفهم شيئاً. هويت على فكّه الأيسر بالمطرقة من جديد. **هكذا ثم هكذا**. كان عنيداً بسبع أرواح. أجلّت ذلك لكنه لم يترك لي خياراً. سحبت مسدسي وأطلقت على رأسه رصاصتين. رأيت الرصاصة الأولى تدخل فمه وتستقر في الجدار أما الثانية فلاحظت بعد ذلك أنها هشّمت عظم حنكه. عندما انتفض ثم سقط على البلاط أخذته رعدة كما خروف مذبوح. انتظرت دقيقة قبل أن أفتح الفراش البلاستيكي. رحت أدفع جثته بقدمي، هكذا. استقر في الوسط. لففت حوله الفراش ورميته في صندوق الشاحنة. **شاهدت، بكل تأكيد، مثل هذا المشهد في الأفلام**. عند الشاطئ أوقفت السيارة ونزلت. لم يكن بالشاطئ من أحد. الجو كان ماطراً والريح قوية. أخرجت السكين، فتحت بطنه وانتزعت ما طلبت مني. رميت الجثة في الماء ليأكلها السمك.





**هات الآن بقية النقود** وانسَ الأمر. لم يعد لك غريم. هذه المرة الرابعة التي تطلب مني أن أروي لك الحكاية بالتفاصيل وبدأت أغضب وغضبي شنيع. غضبي شنيع أيها الكاتب. **هات النقود**. خذ هذه المطرقة. احتفظ بها. ما زالت بدمه. ربما تستحقها؟

دفعت عني الكيس الأسود وصحت:

- أبعدها عني. تخلّص منها. ثمّة كيس هناك فوق الطاولة ببقية المبلغ. خذه وارحل.

أخذ الكيس من فوق الطاولة. تفحّصه جيداً.

- كلكم تقولون لي في النهاية خذ الكيس وارحل. **كلكم أوغاد**. قال بوخا وهو يهمّ بفتح الباب. أشرت له بيدي أن يرحل. لوّح بالمطرقة كمن يريد أن يرميني بها، حاولت تفاديها. لم تبرح المطرقة كفّه. قهقه: **جبان هاهاهاها** ستحتاجني مرة أخرى.

أغلق الباب وراءه ورحل.

أعادته المبولة إليّ ببرنسه الأسود ونابه البشع. فكّرت أن أتّصل بالرجل الذي نصحني به ثم تريّثت. لا أريد أن أفتح ملفات الماضي كاملة.





# أي أي أي

عندما غادرني بوخا ذلك المساء، وقفت بصعوبة أنظر إلى الكيس الأسود. أخذت ملعقة الخشب الكبيرة من المطبخ ورحت أجسّه. كان ملمسه لزجاً. هي الكبد فعلاً. هي كبدك لزجة ومقرفة مثلك.

في اللحظة التي امتدت يدي تفتح الكيس رنّ الهاتف في جيبي. رميت بالملعقة الخشبية من يدي. رفعت الهاتف. كان الرجل الذي رشّح لي بوخا. مضت ثوانٍ وأنا أنظر إلى اسمه على الشاشة ثم ضغطت على زر الاستماع:

– جوك في النوار؟ جربت البوخا؟ هائلة؟

– هايلة، قلت بصعوبة.

– برى ربي يقويك.

قطع الرجل المكالمة. كان يريد أن يطمئن على نجاح المهمة. لكن دعوته ذكرتني أن المهمة الصعبة بدأت الآن. وقفت. بأكثر جرأة وفتحت الكيس. كان الكبد صغيراً. **صغيرٌ كبدك كعقلك أيها الأحمق.**

فكّرت قليلاً ثم نزلت السوبرماركت. اشتريت قطعة أخرى





من كبد الخروف. اشتريت، أيضاً، مقلاة جديدة وبعض البهارات وعدت للشقة أنظر يميناً وشمالاً.

في السوبرماركت هاتفتُ حياة فقالت إنها ستصل بعد ساعتين. كنت اتفقت مع بوخا أن ينفّذ المهمة يوم الجمعة، موعد لقائنا الأسبوعي، حتى لا يبيت الكبد عندي.

وضعت الكبد الذي فتحته نصفين في المقلاة الجديدة ورحت أحرّكه على نار هادئة حركات لطيفة تتسارع مع تكاثر التشتشات. رحت أحرّك المقلاة الجديدة من مقبضها الخشبي كمضرب كرة تنس. أقذف بالكبد في السماء ثم ألتقطه بالمضرب وأعيده للنار. أرشّه بالفلفل الأسود. أطيّره من جديد في السماء. تخرج منه رائحة غريبة. ملأ الدخان الغرفة. استوى الكبد نصف استواء. تركته على الموقد ووضعت فوق المقلاة غطاءها.

كنت أجّلت إخبار حياة بشقة الـ TGM. أردت أن أجعله احتفالاً. جهّزت الطاولة في الشرفة. السكين في مكانه على يمين الكرسي والشوكة على الشمال والمنديل في الكأس. تفقدت الثلج بالنحاسة حول قارورة النبيذ الأبيض الذي تحبّه حياة. أشعلت الشموع. أخرجت طبقين جديدين وشطرت ليمونة إلى أربعة، وضعت في طبقها جزأين وفي طبقي جزأين. بجانب الليمون زرعت ورقة بقدنوس وورقة نعناع وأربع دوائر من الخيار وقطعة طماطم على شكل دائرة وربع بصلة، ووقفت في الشرفة أنتظر.

عند التاسعة تماماً كان صوت منبّه سيارة حياة يهزّ الشارع. من الشرفة لوّحت لها أن تصعد. فتحتُ الباب وانتظرت. أطلّت حياة





تحمل في يدها حذاء الكعب العالي وهي تشتم كعادتها. صعود الدرج جعلها تلهث.

ما إن دخلت الشقة حتى صاحت: ما هذا الدخان المقرف؟ أي رائحة هذه؟

فزعتُ من كلامها. تصوّرتُ أنها كشفتني. عندما رأت دهشتي أخذت تعتذر وتطلب مني أن أتجول بها في الشقة. أبديت تذمراً وأنا أقول لها:

- اشتريت الكبد الذي تحبين. قضيتُ ساعة في المطبخ لتقولي لي مقرف؟ كنت أحسب أنني قمت بشيء جميل من أجلك.

راحت تعتذر وتقبّلني. جعلتها تكتشف الشقة وحدها وهي تصيح فرحةً كل مرة. ثم عادت تحضنني وتعتذر. نزعت من يدي الشوكة. قبّلت يدي. كان موقفاً رائعاً ومناسباً لبقية الخطة. خرجتُ للشرفة، نظرتُ في اتجاه المحطة. تبعتني حياة واحتضنتني من الخلف.

- سأسامحكِ على شرط. اجلسي إلى الطاولة ولا تتحركي حتى أعود.

عدتُ إلى الموقد. أخذت أوزّع الكبد على الطبقين. وضعتُ كبد الخروف لي وكبده لها. وضعتُ الطبق أمامها. نزعتُ المنديل من الكأس. ثبتُّه حول رقبتها:

- هيا جروتي، التهمي هذا الكبد اللذيذ.

تحب حياة أن أناديها "جروتي"، وعند الجماع كانت تصيح: "اضربني أنا كلبتك".





أمسكت السكين والشوكة. درت وراءها. وضعتُ سبابتي بين أسنانها بالعرض. عضت عليها برفق. نزلت أهمس في أذنها: ستلتهمين ألذّ كبد في العالم!

- لكننا لم نلتقِ في ديسمبر. كان ذلك في مايو.

قبضتُ بقوة على شعرها من الخلف عند الرقبة. صاحت متألمةً: أي أي أي.

- ديسمبر. مايو؟ كم مرة قلت لك الفصول هنا. هنا.

كنت أضرب صدغي بسبابتي.

- أوكي أوكي. تبدو مخيفاً الليلة، قالت.

عدت إلى مكاني مبتسماً. وضعت المنديل حول الرقبة وأمسكت الشوكة باليمين والسكين في اليسار ككل أعسر، وقطعتُ كبد الخروف فقطعتْ كبد الناقد. سال دم على سكيني وسال دم على سكينها.

أعلم أنكِ تحبينها نصف مستوية. أدخلتْ اللقمة الأولى في فمها وراحت تمضغ في صعوبة. "تعرفين، حياة، أنّ اللبنانيين يأكلون الكبد نيئاً". رفعت رأسها فأكدت: "يقولون فيها فوائد كثيرة، خاصةً للنساء". التهمت قطعة ثالثة ورابعة. "نعم النساء، فالكبد يصفّي البشرة وأكله يصفّي القلب، ويحافظ على رشاقة البدن. اللبنانيات شهادة حية على نجاعة الكبد".

راحت حياة تأكل بشهية ما بطبقها. كنت أسمع صوت المطرقة يعلو وهي تهشّم تلك الرأس. هكذا هكذا. كانت سكينها وشوكتها تقطران دماً. وهي تزدرد الكبد وتتابعني مبتسمةً، وشيئاً





فشيئاً تجاهلتني وراحت تلتهم الشيء الأسود بشكل هيستيري. بينما كنت أهذي بروعة المكان واصطياد القطارات الراكضة إلينا والهاربة منا. عندما أوشكت على الانتهاء منه التهمت كبد الخروف. كانت تنظر إلى صحني كأنما تهمّ باختطاف ما عندي. لن أتركها تكتشف اختلاف الطعم.

انتهيتُ من طبقي كما انتهت من طبقها. قمتُ. سحبت المنديل من رقبتها. بعناية مسحت لها فمها:

– انتهينا الآن من النكد.

– نكد؟

– أقصد الكبد.

ملأتُ كوبين من البوخا وصحتُ:

– في صحة الأكباد والعباد، في صحة السود والسواد.

ردّدت حياة معي الهتاف.

سحبت باب الألمنيوم فضحك السرير الصغير.

– هيا نجرب هذا جروتي الصغيرة.

"هب هب" قلّدت حياة صوت الجروة وسبقتني تحبو وهي تدير مؤخرتها كذيل كلبة شبقة. ها هو الحزام الجلدي في مكانه على المعلاق. وها هي تنام كلبوة ثملة.

كان رأسي ما زال يضجّ بما رأيت في نومي. منذ أن جاءت وهي تهذي باسمه. تقول إنه يهددها باسترجاع ابنته إن لم تعد إليه. سارة كبرت ولم تعد في سنّ الحضانة من سنوات. ما إن غفوت حتى رأيت بوخا يلوّح بالمطرقة في وجهي ويصيح: "تريد التفاصيل؟





ضربت وجهه بهذه المطرقة فكسرت جمجمته...".

عندما أفاقت سألتها وأنا ارتجف: هل أعجبك عشاء البارحة؟

- هل تسخر؟ قلت لك ألف مرة ألاّ تطلب البيتزا من ذلك المحلّ الوسخ. قضيت الليل أتقيأ وأنت تغطّ في نومك وتهذي بأكل الكبد.

"هل ستبقى معي؟" أي سؤال أحمق ذلك الذي قذفته في وجهي تلك الكلبة تحت المطر.





## ستعودين؟ ستعودين؟ آه ستعودين؟

أتذكّر الآن ذلك الصباح؛ عندما اختطفتني من المطعم وعادت بي إلى بيتها. لا أذكر مكانه تماماً. هو هناك وكفى. كانت تلفّ بسيارتها لفّات كثيرة أصابتني بدوار، كانت تلفّ كمن يريد أن يضلّل أحداً يلاحقه. دخلنا عمارة جديدة. قالت إنها اشترت الشقة حديثاً. حدّثتني عن قروض وميراث وبيع. لم أعد أذكر من قصته شيئاً.

ذلك اليوم كنتُ على موعد مع امرأة ضارية. أغلقت عليّ الباب وسحبتني من يدي إلى غرفة صغيرة. قالت: "أريد أن تضاجعني هنا، في غرفة الأطفال لكي لا تعلق رائحتك بالفراش في غرفة النوم".

هاجمتني كلبوءة بعد أن عانقتني عناقاً طويلاً. دفعتني من كتفي وهاجت. كانت تنظر إليّ بشبق أفزعني. تقدّمت مني وفكّت حزامي. نهشتني كجروة حتى انتصبت. وارتمينا فوق الفراش الصغير. كانت أريكة لطفلتها البكر. قالت إنها مراهقة. رأيت صورتها. جميلة كأمها. وأنا أضاجعها كانت تعضّ حمالات





الصدر الصغيرة المتناثرة فوق السرير.

لم نكن نتصور أن يحدث ذلك. امتلأ الباب فجأةً بشيء حجب الضوء. رفعت رأسي من بين نهديها. كانت تعضّني وتمزّق ظهري بأظافرها. تطلب مني أن أكفّ. وجدت رجلاً ممتلئاً ينظر إلينا في رعب. قفزت ألبس بنطلوني. أشارت لي حياة أن أغادر. كان الرجل ينظر صامتاً. دفعته وركضت. أعلم تماماً أن ذلك كان جبناً، لكنني تداركت فلم أبرح البيت. خفت أن يقتلها، أو ربما أردت أن أتابع كيف ستتصرف حياة. بقيت في الغرفة الأخرى.

كان شيئاً أشبه بالكذب. أنكرت حياة كل ما رآه الزوج وأخذت تهدّئه وتقنعه أنّ ما رآه مجرد هلوسات.

"عدتَ من جديد إلى هذا؟ يا ربي، ماذا أفعل في حياتي البائسة؟ أنت تعلم أنها ليست المرة الأولى التي ترى فيها هذا. أنت تتخيّل، تتخيّل. نصحتك مرات أن تذهب للطبيب. قدّمت لك بطاقته مرات. لكني الآن تعبت، تعبت. تتّهمني للمرة الخمسين بالخيانة. وهذه المرّة في غرفة الطفلة؟ تعبت. تعبت. لم أعد قادرة على التحمّل".

أخذت تبكي، وتبكي. كانت تبكي فعلاً. كان الصوت يصلني أجشّ. كنت أنتظر صوتاً آخر؛ صوته.

أُصبت بجنون الفضول وعدت إلى الغرفة. كانت قبالتي تلوّح بكفّها أن أغادر لكنني كنت متجمّداً مذهولاً وأنا أرى الزوج البدين الذي أطلّ في الباب منذ قليل يتنفس مثل خنزير، جالساً بجانب السرير ماسكاً برأسه.





رفع رأسه. رآني. ظلّ صامتاً ينظر إليّ ثم تجاهلني وحوّل نظره نحو النافذة.

قامت حياة. لبستْ فستانها أمامي وأمامه. ارتمى عند قدميها يعتذر ويرجوها ألاّ تتركه. كان يقبّل قدميها ويبكي؛ يبكي مثل طفل، وهي تدفعه عنها كما تدفع جرواً تعلّق بساقها. ثم رفعته إليها وهو يرتجف:

– اتركني، سأعود. لن أذهب. سأرى البحر ساعة. أريد أن أتنفّس. ستقتلني يوماً يا رجل.

– ستعودين؟ ستعودين؟ آه ستعودين؟ قولي إنّك ستعودين.

هكذا ظلّ يردد بشكل هستيري سؤاله وهكذا أنهت حياة المشهد.

وصلت الباب حيث أقف شارداً أنا الآخر. دفعتني أمامها غامزةً، وخرجنا.





# قانون ناديا

عندما طلبت مني ناديا الزواج رفضت. نعم رفضت. رفضت أول الأمر. كانت قد مرت على قصة ليلة ماركيز سنوات. اختفت هي من الكلية فجأةً، لكن الصورة التي علّقتها مكان صورة أمي ظلّت في مكانها. صورة أمي وجدت لها مكاناً مقابلاً. لم يكن من اللائق أن أترك الصورة على المكتب. ضربت مسماراً في الجدار المقابل وعلّقت الصورة فارتحت من عذاب الضمير الذي كنت أشعر به كلما رأيتها هناك. الغريب أنني لم أفكر يوماً في إصلاح برواز صورة أبي المرمية مع تلك الهدايا التذكارية والجوائز الكثيرة المحشورة في الخزانة.

عادت ناديا مثل كل الكوارث التي تعود بعد سنوات عندما ننساها. عادت كالفيضان، كالانزلاقات الأرضية، مثل الأوبئة والإعصار العنيف والنعرات العرقية، كالحروب الدينية. قفزت فجأةً من النافذة ودخلت مثل لصّ. قبّلتني ثم راحت تتحرك في الشقة كالمعتوهة.

"لم أصدق ما سمعت. ما زلت هنا؟ كيف بقيت كل هذه





السنوات في مكانك؟ سبع سنوات في هذه الشقة الصغيرة. أنا درت العالم". وراحت تحدثني عن أميركا وأوروبا، وحدثتها عمّا فعلته في مكاني. كتبت الكثير من الكتب واشتغلت في صحف كثيرة في العالم. قالت إنها كانت منقطعة للدراسة، وإنها عادت لكي تطبّق كل ما عرفته. قالت إن والدها عيّنها رئيسة تحرير لجريدته. في تلك اللحظة وصلت غرفة النوم. كنت أتبعها. رفعت رأسها نحو الجدار. رأت الصورة صاحت:

– أمبوسيبل. مازلت تحتفظ بها؟

– لا أرمي ذكرياتي الحميمة، قلت وأنا أعلم أنني أبالغ.

في آخر اللقاء وقفت كقطة في الشباك تهمّ بالخروج:

– كنت أحسب أنني أتيت أعرض عليك العمل معي في الجريدة.

– غيّرتِ رأيك؟

– نعم. أنا الآن أعرض عليك الزواج.

بعد سنوات قالت لي ناديا إنها وقتها لم تكن مجنونة. كانت تعي جيداً ما تريد. سنوات الدراسة أكلت عمرها وكان يجب أن تتزوج وتنجب قبل فوات الأوان، ولأنها تزوجت ولم تنجب كان عليها أن تعيد الكرّة، وليس أفضل لحالتها من رجل محترم جرّبته. لكنني تغيّرت اليوم.

عندما اقتحمتني ناديا، كنت وحيداً أقرأ الكتب وأكتب الكتب وأشتري وأبيع الكتب وأضاجع الكتب لأنجب منها كتباً أخرى. وكنت ألتهم صباحاً "الميل فوي" وأشرب الاكسبراس من كافيتيريا الموندیال وأضاجع هند وأضحك للمرآة وأتفل في حوض الحمّام.





لم أكن في حاجة لشيء آخر غير مزيد من المال لاقتناء مزيد من الكتب أو مزيد من البوخا لقراءة الكتب. كنت على يقين بأن كل شيء موجود في الكتب، فلماذا أتزوج ولماذا أستعين بخادمة. وكان عندي يقين بأن أي شخص آخر في حياتي سيضعفني ويجعلني لقمةً سائغة للناقد المتربّص بي طوال الوقت. كنت أنسى أسماء عشيقاتي عند الباب وأنا أودّعهن. الحياة كانت أعمق من التفكير في امرأة. لم أكن أتصور أنها ستعود لتعرض عليّ الزواج.

قالت لي بعد سنوات إنها طبّقت عليّ معارفها الأميركية. عادت إلى بيتها، جلست أمام ورقة بيضاء كبيرة رسمت نقطة زرقاء سمّتها الهدف وبدأت رسم الطرق السالكة للنقطة. كنت أنا النقطة للأسف ولم أكن الهدف. ليس هناك من شيء اسمه الهدف في قانون ناديا. لناديا أهداف بعدد أحذيتها التي تملأ غرفة التجميل.





# الحوادث

وجّه السيد مهدي جمعة رئيس الحكومة رسالة تعزية إلى عائلة الفقيد الكاتب والصحفي التونسي كمال الرّيحاني الذي وجد مقتولاً منذ يومين في حادث مرور فظيع. ولم يستبعد الناطق الرسمي باسم نقابة الصحفيين من جهته أن تكون الحادثة مدبّرة وبفعل فاعل، وذهب النقيب إلى أنها يمكن أن تكون رسالة من الظلاميين إلى المثقفين والصحفيين الأحرار، فلطالما عُرف الكاتب بمواقفه الجريئة التي أزعجت الكثير من الجهات والعائلات النافذة في هذه البلاد.





# احترم نفسك سيّد ماركيز!

احترم نفسك سيّد ماركيز! بدأت أضيق بك ذرعاً. سأرمي أمك من النافذة. تبتسم؟ تباً لك ولعاهراتك ولعزلتك ولجنرالك.

هناك مرحلة تتحول فيها المنافسة ومشاعرنا السلبية الصغيرة إلى صراع دموي من أجل البقاء. عندما نصل تلك النقطة تسقط من حولنا كل علامات التحضّر والحضارة؛ نتحول إلى وحوش بأنياب ومخالب. الذكي من لا يدفع عدوه ليكون في ذلك المربع الأخير. حاولت كثيراً أن أجد تفسيراً وعذراً لذلك الأرعن الذي حمل اسمي. حاولت كثيراً أن أبعده عن مرمى قبضتي. حياة الوحيدة التي تعرف أن نعومة أصابعي تخفي وراءها قبضة كمّاشة.

على عكس حياة كانت ناديا امرأةً قاسية ومناورة. حتّى لوحة ماركيز دمّرت خيالي عنها.

بعد سنوات من زواجنا أسرّت لي أنها لم تأتِ بها خصيصاً من أجلي. هذا ما أسقطني في الحزن. حتى الشيء الوحيد الغامض الذي ربطني بها حطّمته. أخبرتني ناديا أنها كانت في حفل السفارة الكوبية مع والدها. كانا مدعوين للاحتفال بالعيد الوطني الكوبي،





وكان هناك معرض للصور الفوتوغرافية لمشاهير كوبا. كانت هناك ثلاث صور لماركيز مع كاسترو ومع تشي جيفارا. عرفت تشي من أول وهلة، ووقفت تتأمل الرجل الذي ظهر في صورة ثالثة وحده يضحك بعين متورّمة. لاحظ قنصل السفارة الكوبية اهتمامها فاقترب منها وراح يروي لها قصة اللكمة. لم ينسَ القنصل أن يخبرها أنّ ماركيز ليس كوبيا. بعد انتهاء الحفل ركض وراءها في الحديقة وسلّمها الصورة. كانت ناديا تترنّح؛ فقد شربت أربعة أكواب من الويسكي.

في الطريق تذكّرت ناديا عنوان شقتي فجاءت تطرق الباب وفي يدها الصورة، وما حدث بعد ذلك كله كان من أثر الويسكي. اصطادتني بكذبة. كذبة كبيرة جعلتني أرضى بانتزاع صورة أمي واستبدالها بصورة ابن العاهرة هذا. يبتسم طوال الوقت بعينه البشعة. احترم نفسك، وإلاّ قذفتك بهذه البيرة وورّمت لك عينك الأخرى.

هل بدأت أكلّم نفسي أنا أيضاً؟ يبدو أن ناديا جعلتني رجلاً آخر يفكّر كلّ يوم كيف يتحمّل لكمةً جديدة من ذلك السافل.





# الميزان

الميزان يكذب كلّ يوم. يقول إنّ وزني آخذ في الازدياد كلّ يوم أكثر كما كانت تقول ناديا دائماً. الميزان لسان ناديا. ببغاء. يعيد كلام تلك البرجوازية السافلة. لا يمكن أن أستمر معها. لا يمكن أن أبقى معها وهي تصرخ فيّ:

- ابتعد عني أيّها الفيل. أنت مقرف.

هي لم تقل "مقرف" بالضبط. أنا سألتها. نعم سألتها. وأنكرت. نعم أنكرت. ليس لأني قبضت عليها من رقبتها. أنا لم أخنقها كما ادّعت. كنت فقط أريد أن أقبّل الشامة التي على رقبتها. كانت جميلة ذلك الصباح أكثر من العادة. الشامة تبدو أكثر سواداً كل صباح. يومها أردت أن أقبّلها. هي لم تكن في الرقبة بالضبط. كانت بين منبت النهدين تماماً. ناديا بنهدين رائعين. هل قلت رائعين؟ هما فقط جميلان. كان يمكن أن أتخلّى عنهما. كان يمكن ألاّ أراهما. قلت لها مرّات إن ما تفكّر به ليس صحيحاً وأني لا أحبّ نهديها كثيراً كما تتصوّر. أحبّ أن أضمّهما إليّ، لا أنكر ذلك، لكن في إمكاني ألاّ أراهما. الشامة فقط كانت رائعة ذلك الصباح. ربما





عصّبتُ قليلاً، لكني لم أفكر في خنقها كما ادّعت.

القاضي، الذي حكم لها، رأيته ينظر إلى الشامة. هو الآخر كان ينظر هناك، وجعلته الشامة يحكم لها. خمسمائة متر. 500 متر أيها السافل! قنبلة ذرية أنا! "يحجر عليك الاقتراب أكثر من 500 متر من أماكن تواجدها". حكم لها وانتهى. علي أن أقيس المسافة؟ كيف لي أن أعرف في هذه المدينة المهشّمة بالبنايات والمنعرجات؛ كيف لي أن أعرف أنني يومها قد اخترقت المسافة المسموح بها؟ "انتهكت المحظور"، قال الشرطي، "300 دينار أخرى خطيّة. تدفع أو تدخل السجن".

تحوّلت ناديا فجأةً إلى لوحة في اللوفر، عليّ أن أكتفي برؤيتها من بعيد. أقف بعيداً عند أوّل الشارع بعد أن أطلب رؤية سارة. على سارة الصغيرة أن تعبر 500 متر وحدها لتصلني هناك عند أوّل الشارع.

كانت تركض ملوّحةً بيدها وكنت أقرأ لها الفاتحة حتى ترتمي في حضني. نادراً ما رأيت سارة تقف في الشرفة إلاّ عندما كانت تجرّني الشرطة. لا يمكنني أن أشرب هذا الهباب كلّ يوم، إنه محطّم للأعصاب. كانت سارة تفرّ مني عائدةً أحياناً. "تبدو منتفخاً. تبدو مخيفاً كمال" وتركض سارة عائدةً من حيث أتت.





# الرجاء عدم الإزعاج

"أيّ خطوبة وأيّ تخلف؟" هكذا ردّتناديا وأنا أسألها عن موعد الخطوبة بعد أن وافقتُ؛ بعد أن وافقتُ أن أتزوجها.

- الزواج يتطلب استعدادات.

- لا يتطلّب شيئاً. تذكرتين وبعض المال وهوووووب بروكسيل. لندن. مدريد. جنيف.

لم أناقش. كان عرضاً جيداً. كثيراً ما وصفني ايفو بالبخيل. هو فقط حرص. حرص لا غير. لا أترك موظف الاستقبال يحمل لي حقيبتي. لا أدفع بقشيشاً لنادل الحانة، أدفع على الكونتوار بيرة بيرة. أدفع على الكونتوار قهوتي. لماذا أنقد النادل إذا لم يقدّم لي شيئاً؟ النادل شيء لا أحترمه. هو مثال حيّ لمصاصي الدماء. سمعته مرّات يشتم زبونا ترك له بقشيشاً كبيراً. سمعته مرات يشتم زبائن لم يتركوا له بقشيشاً، لذلك اخترت ان أُشتم دون مقابل.

كم أكره ابتسامة النادل، وموظف الاستقبال بالفنادق. إنّها أغلى ابتسامة، إذا اعترضتك احرص جيداً على جيبك وأعصابك. ذلك الحرص هو الذي أزعج سيدة الإعلام. فعليّ أن أدفع البوربوار





أينما وجدنا، فذلك يدخل أيضاً ضمن بريستيج العائلة. العائلة التي لا أراها إلاّ في أعياد الميلاد. أعياد ميلادهم أكثر من عددهم. لا يمكن أن أنسى أنّني حضرت عيد ميلاد جدها ولما سألت عنه ضحكوا طويلاً. أخبروني بعدها أنه مات قبل عشر سنوات. فقط هو بريستيج العائلة. تصورت أن الدولة فقط هي التي تحيي ذكرى ميلاد المشاهير وذكرى وفاتهم. ليس للدولة ما تفعله في النهاية غير هذا.

- ما رأيك في دبلن؟

- دبلن؟

- نعم دبلن. ألا تريد أن ترى مدينة جويس؟

هكذا أحكمت ناديا قبضتها عليّ. ليس لي مهرب. أمسكتني من يدي الضعيفة. الكتب نقطة ضعفي الوحيدة.

ذهبنا إلى إيرلندا. هناك عشنا ليلة ضارية في "حانة القراصنة". شربنا "الغينيس"؛ البيرة السوداء القاتمة. صحنا. تعانقنا. رقصنا. تهيّجنا. تعالقنا. نهشنا بعضنا تقبيلاً. بدا لي أن ناديا معروفة في ذلك المرقص. سلّم عليها أكثر من ثلاثة أشخاص. دعاها رابع إلى الرقص فاعتذرت. قبل أن أسألها أخبرتني أنها كانت تزور دبلن أحياناً عندما درست في سويسرا.

عندما رنّ هاتفي كنت نائماً مثل جذع شجرة مقطوع؛ مثل قطط ايفو. كانت ناديا تخبرني أنّها ذهبت إلى سويسرا لقضاء بعض الأمور الطارئة وأنه يمكنني أن أطلب تاكسي وأذهب إلى بيت جويس ومتحفه وأن أتجول في المكتبات حتى تعود مساءً.





عندما وصلت الباب كان خُمار البيرة السوداء ومكالمة ناديا يحطّمان رأسي. نزعت الورقة من مقبض الباب ووضعتها في المقبض الخارجي.

"الرجاء عدم الإزعاج"

لم يزعجني أحدٌ لمدة ثلاثة أيام حتى عادت ناديا. قمتُ يوماً فوجدتها نائمة إلى جانبي بتنورة وبلوزة ضيقة زرقاء. حقيبتها هناك عند الباب. حذاؤها على الطاولة. عادت متأخرة متعبة وارتمت على السرير بملابسها. رنّ هاتفها. فتحتُ الحقيبة لأسكته. كانت ترقد دعوة باسمها لمؤتمر دولي حول الإعلام جنوب شمال.

"كان يجب أن أحضر، حبيبي، وجدت الدعوة في صندوق بريدي. انشغلت بالزواج ولم أفتح الانترنت"، هكذا همست لي ناديا مقدمةً نموذجاً عن مستقبل الحياة.

عدنا من أسبوع العسل دون أن أرى بيت جويس لكنني اشتريت رواية **يوليسيس** من المطار وأهدتني ناديا رواية **دراكولا** وكوب غينيس لشرب البيرة الوطنية.





# قطط ايفو

لا أدري كيف أبرّر ما فعلته. كان بطنها مستفزاً. لم أتمالك نفسي. ما كان عليه أن يتركني معها وحيداً. هو يعرف أنّني لا أطيقهم. لم تترك لي خياراً. أصرّت أن تتبعني أينما هربت. خرجت إلى الحديقة فتبعتني. عدت إلى غرفة الجلوس فلحقت بي. دخلت غرفة النوم وأغلقت علي بابي فراحت تموء بشكل قبيح ومؤلم. حاولت إغلاق أذني فلم أفلح؛ كان صوتها يخترقني بالكامل. خرجت إليها، ركلتها بقوة، فعادت إلي بمواءٍ أشدّ وأقبح. قبضت عليها من ظهرها أريد أن أرمي بها خارجاً فعضّتني من يدي عضةً مؤلمة وقفزت إلى هناك وواصلت مشيها البطيء المستفز، تتمايل ببطنها الكبير الممتلئ.

أخبرني ايفو أنها تخرج طالبةً العشار كلّ مرة وتعود ممتلئة البطن، وأنها أنجبت العام الماضي عشرة صغار في بطن واحد. عندما تذكرت ذلك تشنجت. رأيتها وهي تقترب مني في قطيع من الهررة. الأصوات أصبحت بشعة، تراجعت نحو الأريكة الصغيرة. كانت أريكة ايفو التي لا يجلس عليها أحد. تقدمت الهررة مني





تريد أن تمزقني. لمعت الفأس الصغيرة في مرمى يدي على الجدار. واحدة من أكسيسوارات الصالون. ايفو مغرم بحضارة الإنكا. يعلّق على الجدار رؤوس الحيوانات المحنّطة والجلود وتيجان الريش ويحفظ الكثير من أشعار الهنود الحمر. رفعت ذراعي والتقطت الفأس ودون تردد رميت القطة الحامل بها. طارت القطة بوزنها الثقيل لترتطم بالحائط كما أحببت أن أفعل، وظلت تضرب نفسها بالجدار.

عندما هدأت، كان الجدار ملطّخاً بالدم، وقد انقلب الصالون مسلخاً. حملت الفأس أريد أن أعيدها إلى مكانها. انتبهت إلى أن مقبضها المزركش الجميل قد شُجّ. أردت أن أعيد الخشبة إلى مكانها فتحطمت. عدت إلى القطة وقد تملكني غضب كبير ورحت أحطّم رأسها بالفأس، ثم أخرجت محفظة أوراقي ومن ركن سري أخرجت المشرط الذي احتفظ به سنوات. فتحت به بطنها وأخذت أُخرج منه صغارها. كانوا فقط ستة؛ صغاراً جداً لم يظهر عليهم شعر. اصطفّوا أمامي على ورقة جريدة **لوطون** الضخمة التي فتحتها قريباً من الجدار. كنت أقلّب تلك الأشياء الحمراء عندما سمعتُ صوت محرّك سيارة ايفو. ركضت نحو النافذة ووثبتُ مثل قطّ.

لم يغفر لي ايفو ما فعلت. ظل يطلبني أياماً في الهاتف ويشتم. شتمني وشتم الجميع. أخبرني الأصدقاء أنه طردهم عندما زاروه بعد الحادثة. هو لا يعلم أنني فعلت كل ذلك تحت دافع غريب لم أفهمه، ولن يصدق أن القطة هي التي هاجمتني.





اليوم رأيت قطّاً يمشي على السور هنا. أعلم أن القطط ستأتي لتثأر مني. القطط لا تترك ثأرها. رأيته ينظر نحو نافذتي. لست مجنوناً. لن يفهموا شيئاً مما قلته. لا يعرفون غير الحقنة؛ حقنة في الوريد. أعتقد أحياناً أنها هي القطط التي جاءت لتثأر مني. أسمع مواءها كلّما تحلّقت حولي.

ناديا أيضا كان لها قط.





# ماركيز مات... ماركيز مات

**17 أبريل 2014 H20,00**

"ماركيز مات يا كمال. الطريق أمامك سالكة. ستدفع ثمن البيرة. لن تهرب هذه المرة" صاح ايفو عبر الهاتف.

كالعادة بحث ايفو عن سبب للتندّر عندما قرأ خبر رحيل غابرييل ذلك الصباح على الفايس بوك. تأكّدتُ من الخبر. كلّ أصدقائي رفعوا صورة ماركيز بدلاً من صورهم. الخيّاطات والمدرّسات والمتحزّبات والمتحزّمات وذوات الاحتياجات الخاصة والمحافظات والتقدميات واليساريات واليمينيات والمتحجبات والسافرات والمعتدلات في الرأي والفراش، حتى المعجبات المتعصّبات لي ولأدبي قليل الأدب تجنّدن لماركيز. أينما ولّيت وجهي أجده مرفوعاً على الوجوه قناعاً.

بينما يبتسم ماركيز هنا على الجدار، هنا عندي تفيض كدمته السوداء على عينه ويبتسم بكل مكر. يتابعني وأنا أقلّب الصفحات فيبتسم. تلاحقني صوره وأحاديثه وأخباره القديمة والحديثة. الكل يرثي ماركيز . الكل يعرف ماركيز. الكل يموت لأن ماركيز مات.





الكل يقسم ألاّ بعد ماركيز من حب ولا بعده من أدب ولا بعده من جرأة. الكل مسحور بجثة الملعون الضاحك على الجدار.

مات ماركيز. مات. مات غابيتو.

- فليمت، اللعنة عليك وعليه. مات الله قبله ولم يأبه أحد، صحت في ايفو.

- ليس لله من صور.

- اتركني، لست في مزاجي هذا اليوم.

- لا أحد يصدّق أن الله مات بينما يصدّقون موت ماركيز.

- سأغلق الخط.

أغلقت الخط فعلاً وجلست أنظر إلى الصورة. "لا تتوقف عن الابتسام حتى وإن كنت حزيناً فلربما فُتن أحد بابتسامتك." هذا ما كُتب على ظهر الصورة بالإسبانية. اكتشفت ذلك عندما نزعتها من مكانها لألتحق ببيت ناديا. قالت لي: ارمِ أشياءك كلها. اجلب معك كتبك فقط. ما تحتاجه فقط.

قلت: والصورة؟

رميت فعلاً ملابسي المهترئة. كانت تنتظرني في بيت الزوجية خزانة ملابس مرصوصة بذْلات وقمصان وفنيلاّت جديدة بماركات عالمية. منذ تلك الليلة أصبحت زوج سيدة الإعلام وصهر رجل الإعلام الكبير. علي أن أكون لائقاً بهم. أحذيتي أيضاً عليّ أن ألمّعها جيداً. عليّ أن أقلّل من مدة ضحكتي إن ضحكت... من أجل البريستيج.





# بريستيج

بريستيج. بريستيج العائلة. عليك أن تتثبت من أن الخادمة قد كوت القميص جيداً. عليك أن تختار ألواناً داكنة. البريستيج لا يسمح بكثرة الألوان. عليك أن تحلق لحيتك جيداً؛ فوق وتحت. عليها أن تكون ناعمة كالحرير. عليك أن تغسل أسنانك بفرشاة طرية ومعجون أسنان من الصيدلية. لا يجب أن تشتريه من السوبرماركت. عليك أن تشتري جواربك من الخارج. كل الجوارب الوطنية سيئة. عليك ألاّ تظهر للناس في حذاء رياضي وكارثة إن فكرت في انتعال الصندل، فمجرد أن تكشف أصابع قدميك تصبح مستباحاً. سرّح شعرك جيداً. زُرْ الحلاق مرة في الأسبوع لتحفيفه والتخلّص من الزغب الذي يظهر عند الرقبة. استعمل ربطات العنق الكلاسيكية. لا تهتم بالموضة. لا تلبس غير خاتم الزواج بيدك. يمكنك أن تحمل ساعة؛ بحزام جلدي فقط. عليك أن تجلس بذكاء. اجلس كأنك تقف؛ ظهرك يملأُ ظهر الكرسي ورأسك إلى الأعلى قليلاً. ضع رجلك اليمنى على اليسرى وليس العكس. هذّب الشعرة النافرة بحاجبك الأيمن.





قلّم أظافرك باستمرار. تفقّد زجاج نظاراتك قبل أن تلتقي أحداً. لا تترك العمال يرونك وأنت تأكل. عليهم أن يعتقدوا أنك لا تأكل ولا تشرب ولا تدخل الحمّام. كلّ ذلك يجعلك تسيطر على الوضع ويعطيك بريستيجاً. كن غامضاً قدر المستطاع. إذا قبلت دعوة على الأكل لا تأكل، تذوّق الطعام فحسب، الجاف منه فقط، بالشوكة والسكين طبعاً. لا تنسَ أبداً أنك صهر فلان. لا تنسَ أنّ هناك دائماً من يتصيّدك بكاميرا. حذارِ من اظهار أي انفعال. لا تضحك، لا تغضب، لا تحزن ولا تفرح. الحزن يثير الشفقة أو الشماتة ويكشف نقاط ضعفك، أما الفرح فيجعلك تبدو تافهاً ويجعلك أليفاً. الشريان الذي بجبهتك، حاول ألاّ تنفعل حتى لا يظهر. لا تتحدث عن عائلتك ولا تكشف طفولتك. لا تتحدث عن قريتك. إذا اقترب منك طفلٌ في حفل وطلب منك أن تنفخ له بالونته، لا تفعل. ابتسم فقط وسيذهب. الكاميرات تراقبك. اعتذر عن الرقص إذا ما دُعيت إليه. اعتذر برقّة. لا تنسَ منديل جيب الجاكيت؛ المنديل أهم من ربطة العنق. لا تتحدث مع السائق. حدّد له وجهتك واسحب الجريدة التي عليها أن تكون على يمينك. عليك ألاّ تدخل مطعماً شعبياً مهما حصل. المطاعم الشعبية تفقدك بريستيجك، والمقاهي أيضاً.

اشرب قهوتك في كافيتيريا "الجنتلمان" بشارع باريس. خمس دقائق لا أكثر. عليك ألاّ تنسى تاريخ ميلاد أبي وأمي وزوج أختي وأختي وزوجة أخي، وعليك أن تقدم هدايا تليق ببريستيج العائلة. عليك أن... عليك أن...





كان عليّ أن أرمي نفسي من النافذة لأرتاح من وجهكِ البارد وفرجكِ البارد وجريدتكِ الباردة وحياتكِ الباردة. عليّ أن أكسّر رأسكِ بتلك الصورة. عليّ أن أركلكِ بهذا الحذاء المدبَّب حتى أُخرج لك ما بأحشائك.

كان عليّ أن أرمي نفسي في جحيم حياة؛ فرج ساخن ورطب طيلة الوقت، يبتسم طيلة الوقت، مجنون طيلة الوقت. كانت حياة التهوّر الذي أحتاجه؛ الأصابع التي فكّت رباط حزمة الأعصاب والعروق المشدودة منذ سنوات في الذراعين والجبين.

بريستيج! تذكّرت البريستيج وأنا أهمّ بطلب سارة من جديد. ناديا تقول :عليك ألاّ أطلب شخصاً مرّتين إذا لم يردّ... هكذا هو البريستيج.

سارة ليست شخصاً. إنها ابنتي ولا تردّ عليّ منذ أيام.





# أنا حبلى

المرّة الأخيرة التي رأيتُ فيها سارة لم أكن سعيداً. كانت سارة قد ازدادت نحولاً. نسيتُ أن أقولَ لكم إنّ سارة نباتية، لا تطيق اللحوم بأنواعها، حتى الأسماك. منذ طفولتها كان يصيبها الغثيان كلّما وضعنا أمامها صحناً فيه لحم. رضخنا في النهاية لهذا الوضع. كانت منذ طفولتها طويلة مثل جزرة. سمراء تميل بشرتها إلى حمرة. عندما كبرت صارت نسخة من ناديا لكن أشدّ نحولاً وسمرةً. عندما وقفَت ذلك الفجر تترنّح في الصالون ملوّحةً بالصندل في وجهي "أنا حبلى منه ولن أجهض" كانت تشبهها تماماً. لا اختلاف غير انسياب شعرها الفاحم على كتفيها. تحرّكت حافيةً وهي تترنّح ثملة.

– لن أتخلّص من هذا الجنين مهما فعلتما. لن أخضع لبريستيجها ولا لسمعتك أيها الكاتب المشهور. اذهبا إلى الجحيم.

ناديا أيضاً وقفت قبل سبعة عشر عاماً وقفتها تلك عند باب المرآب تخيّرني: أنا حبلى منه فهل ستبقى معي؟





كانت الكليو الحمراء شاهدة على ذلك. لم تنطق السيارة بالحقّ إلى الآن. غيّرت ناديا السيارة وتركت الكليو لسارة، ومع ذلك لم يتغير شيء.

كانت لا تزال متزوجة عندما طلبت مني الزواج. كانت تقول إنها فقط تصفّي بعض الأمور العالقة. لم تكن تسافر إلى جنيف إلاّ لتصفّي أموراً عالقة. ولكنها ستطلّقه. تقول إنها هي التي طلبت الطلاق. ناديا لا يطلّقها أحد، هي صاحبة العصمة دائماً. لذلك لم تطلّقني إلى الآن. كيف لي أن أختار بين البقاء معها والجنين وبين تركها بعد انتظارات السنين. لم أكن أنتظر شيئاً منذ تركتني ونحن بالجامعة واختفت.

كانوا يعلمون جميعاً هوسي بها. الحلقة الإيطالية والـ JFK والأوسكار والمزار والمالوف وبابيلون وكل حانات تونس كانت شاهدة على ذلك الحب المتوحش. لا أحد يجرؤ على الاستمرار في قبلة أكثر من خمس دقائق غيرنا. كنا لا نترك بعضنا إلاّ متى علا التصفيق.

هكذا ودون مقدمات اختفت ناديا مثل شهابٍ في السماء وتركتني وراءها بلا بوصلة. قضيت الأسابيع الأولى أهيم بحثاً عنها في كل مكان حتى وصلت إلى عنوان بيتها عبر جريدة والدها، وعلمت أنها رحلت إلى أميركا لدراسة إدارة الأعمال. بكيتُ يومها وأنا أسأل عمّن سيديرُني بعدها وقد شعرت أنني دولاب ثقيل مرميّ عند حافة بئر بجانب جمل أعمى سقط ومات.





تغيّر طعم الكتابة وأصبح مثل الخيار المرّ. أكتب لكي أقول لها أينما كانت إنني هنا. أقضم الذكريات وأمصّ بقايا ريقها على جنبات شفتي والقوارير التي شربناها. تعلو رزمة كتبي كل يوم وأنا أكتب مثلما يحفر فأر مسنّ ولا يدري إن كان يحفر مسكناً أم قبراً. حتى أطلّت علي مثل أحجية غريبة. قالت: "عدتُ لك أيها الحبّ القديم". لم تتغير. كنت أعتقد أنها لم تتغير. طويلة كما تركتني ونحيفة كعمود كتبي التي ألّفتها. تضحك في تعهّر كما كانت وتسأل عن عدد النساء اللاتي مررن بسريري في غيابها.

**"لا شيء تغيّر فيك أيها العجوز. كما تركتك حزيناً مثل ليل."**

قالت جملتها البليغة دون قصد. فهمت أنها شربت كثيراً قبل أن تأتي. لم أقل شيئاً عن ناديا عندما تشرب. كانت تسقط عنها أقنعة الرداءة وتهيج بعمق دون قصد.

يومها حدثتني عن زواجها وعن سفراتها وقرارها بتطليق زوجها، وفي نفس الليلة لمّحت إلى قوته: ذكر كامل مثل تيس. لكن هذا لم يعد يكفيها. اكتشفت ناديا فجأةً أنها بحاجة إلى رجل حنون؛ رجل دافئ يقول كلاماً رقيقاً، يضعها في حجره ويخلّل أصابعه في شعرها حتى تنام. هكذا وفجأةً عادت ناديا كما لو أنها تركتني في البار برهةً وذهبت إلى الحمام. عادت مثل هلوسةٍ خاطفة أو حلمٍ قصيرٍ سيئ النية أطلّ برأسه واختفى، عادت ناديا.

وكما عادت ناديا عادت سارة فجراً وقالت إنها حبلى لتعيدني





إلى الكابوس واقفاً.

كان الفجر فاجراً ذلك اليوم يصرخ بالوقاحة الكاملة: أنا حبلى وسأبقى معه.





# أقدام التانغو

قررتُ أن أصلح تلك الليلة الدموية السوداء. تركت لي رسالة ألصقتها على باب الشقة تقول فيها إنني لم أعجبها، وكان علي أن أصلح ما أفسدت.

ضممتُها إليّ وأنا أقول لها مازحاً: هيا شمّي! ها هي رائحتي التي ادّعيتِ أنها اختفت.

لكنها، على غير عادتها، دفعتني وابتعدت عني ورفعت كمّ فستانها وراحت تهذي بحكايات غريبة. كانت تشير كل مرة إلى كدمة زرقاء في زندها، تقول إنه هو من فعلها. اعترفت لي أنّ هذا النذل جرّها بالقوة منذ أيام واغتصبها وراء البنك؛ البنك العربي لتونس، هناك عندَ أول شارع جون جو ريس. شدّها من شعرها وضرب رأسها على آلة سحب النقود عندما قالت في محاولة يائسة إنها لا تملك شيئاً. طلب منها مائة دينار، وعندما رفضت أخرج مسدساً. تُقسِم أنه أخرج مسدساً من جيبه وهدّدها بأن يفجّر رأسها قبل أن يجرّها نحو آلة سحب النقود. تقول هند إن بوخا أصبح متوحشاً، حتى وهو يضاجعها كان ينهشها ككلب مسعور. أرتني





أماكن زرقاء كثيرة من جسدها. أخبرتني أنها استغاثت بكاميرات الحراسة المثبتة في أعلى البنك.

- **كل شيء زائف ومعطل في هذا البلد،** حتى تلك العين الشاهدة الوحيدة كانت عمياء. عندما انتبه أنني أنظر إلى الكاميرا دار نحوها وأمسك ذكره باتجاهها مخرجاً لسانه. سخر منها بوخا ومن استغاثتي وعاد يدقّه في أحشائي. هيا دقّه أنت أيضاً. دقّه أيها الكاتب النّذل. أليس هذا ما تريده الليلة؟

جلستْ في الركن تبكي كطفل. لم أرَ هنداً يوماً تبكي. كانت ضعيفة كسنبلة في الريح. لم أكن في حاجة إلى امرأة ضعيفة تلك الليلة. كنت أفتّشُ عن حضنٍ قوي يضمّني. أنا أيضاً في لحظة ضعف. لا شيء يمكن أن يجمع ضعيفاً بضعيف إلاّ الحزن. لكن قبل أن أسقط في الحزن وحيداً في الشرفة، أسقطتني هند في بركةٍ من الوحل. قالت إن بوخا بعد أن انتزع منها المائة دينار وضع مسدسه في صدغها وقال لها إنه لن يرحم أحداً بعد اليوم. حتّى هذه اللحظة لم يكن الأمر يعنيني؛ مخبر يعنّف مومساً ويسلبها مالها... لا شيء جديد.

ما روته لي هند بعدها عرّاني وتركني للريح؛ نزعَ عنّي ثيابي ورماها في مستنقعِ ضفادع لتلوكه وتلوكني على مهلها. قالت إنه أخذ يسألها عن تفاصيل كثيرة تخصّ سارة: "هو يعلم جيداً أنّ سارة تذهب إلى الـ JFK وكثيراً ما تجلس إلي. قال لي إنه يريدها".

لا أدري كيف انتفضتُ من مكاني وشددتُها من شعرها ورحت أجرّها على الأرض. دخلتُ في لحظات في حالة هيستيرية وأنا





أسألها: "سارة؟ ما معنى يريدها؟! تكلّمي. ماذا فعلتِ بالطفلة؟" قالت: "ابنتك لم تعد طفلة وهي تشرب كل ليلة هناك وتضرب الزطلة.".

- الزطلة!!!

- إي نعم، ابنتك تحشش. ابنتك أكثر البنات اللاتي يضربن في الزطلة.

عندما ضربتها على وجهها بقبضتي (كما العادة لم أفتح يدي، وعوض أن أصفعها لكمتها في عينها) قامت وراحت تكيل لي الشتائم وتنعت سارة وأمها بأبشع النعوت.

- هي عاهرة مثل أمّها وابنة نذلٍ قواد رخيص مهما علا شأنكَ، لا يخرجُ من ظهر الكلب إلاّ كلبٌ مثله ولن تغيّر لكماتك هذه الحقيقة.

انهرتُ وهي تقول لي إنني لا أختلف عن بوخا في شيء، فكلنا رجال قساة ترقد داخلنا وحوش قذرة. لم ينفع شيءٌ معها بعد ذلك. حاولت طوال الليل أن أصالحها دون نتيجة. كانت مغتاظة مني كثيراً وهي تتحسّس الكدمة التي أخذت تنتفخ. غاصت عينها بعيداً في هوة سوداء سحيقة. كم احتقرت نفسي لكن التفكير في سارة كان يأكل رأسي. كان مسدّس بوخا الذي تحدثت عنه هند يتعاظم في وجهي أكثر.

اختفت هند.

عندما فكّرت في البحث عنها لم أجد وجهة، فلا أحد يعرف من أين جاءت هند. لا أحد يعرف لها أصلاً ولا أحد فكّر في أن يسألها.





هكذا نبتت في كافيتيريا المونديال مثل أيّ شقّ في الجدار؛ شقّ قبيح أصبح بمرور الزمن جزءاً حميماً نهرع إليه، نحن الساقطين من سلّم السعادة. كانت هند مثل جرحٍ كبير نهرب إليه أحزاننا الصغيرة يلتئم عليها فنشفى لكن ما إن نتركه حتى يتفتح من جديد لتبقى هند تتألم وحدها. ككل الجدران المجروحة ينزف جرح هند الغامض آخر الليل عندما تسكت الأصوات وتخرس الأغاني وتغادر الأقدام التي كانت ترقص قبل قليل التانغو في الحانة.

العاصمة لا تتحمّل غيابها كل هذه الأيام. كافيتيريا الموندیال تميل على اليسار نهاراً والـ JFK بلا طعم. "حتى أقدام التانغو باتت ثقيلة" يقول النادل الذي سألته في غفلةٍ من ستيلا. أقسم هو الآخر أنه لا يعرف. لا أحد يعرف لها مبيتاً. كان يجب أن أقنع نفسي بأنّ هند سقطت من السماء مثل ملاك. لا تمرض هند ولا تغيب عن المقهى نهاراً وعرفت أنها لا تغيب ليلاً عن الحانة. وإن غابت لا ينتبه أحد لذلك، لأنها عادةً ما تعود بعد يوم أو يومين. تضع نظارات شمسية كبيرة تخفي بها كدمة على عينها أو قبعة تخفي بها شعرها الذي جزّه لها مجهول. لا أحد يفهم هند ولا يدري أحد من يفعل بها ذلك. لا يبدو أيّ ضعفٍ على هند وهي تعود بعد كل غيابٍ قصير تحمل جرحاً جديداً.

لم أعد أرى هند منذ أيام. ظلّ مكانها في الموندیال شاغراً فيما الضفادع تأكل ثيابي على مهل. أمرّ كل يوم في الصباح وعند المساء، أجلس أمصّ النعناع والليمون المنقوع في الشاي البارد وأنتظر.





لم أستطع أن أواجه سارة بما قالته لي هند حتى أتثبّت. ستنكر. خمّنت. وربما تترك البيت. ستقول إنها ستعود إلى ناديا ولكن من سيثبت لي أنها معها؟ لذلك كان علي أن أنتظر. علي أن أنتظر عودة هند لأفهم أكثر.





# ايفو

عليّ أن أتخلّى قليلاً عن تدوين هذه الهلوسات وأكتب إليه من جديد.لا أرى ورقةبيضاء على المكتب. سأكتب الرسالة في هذا الدفتر. اللعنة عليه. ناديا ليست هنا لتحتجّ على تشويه الدفتر. في إمكاني الآن أن أمزّق كل شيء.

ايفو،

لا أحد يصدّقني، لا أحد يا ايفو. يصرّون أنني قتلتها، أنني قتلت ابنتي سارة. تصوّر يا ايفو! يقولون إنني هشّمت رأسها بفأس قبل أن أرميها أمام القطار. جرّوني من البيت ورموني هنا في هذه الزنزانة.

ها هم يعيدون على مسامعي السؤال ذاته: **لماذا قتلت ابنتك؟**

ايفو، أرجوك إيّاك أن تسألني أنت أيضاً: لماذا قتلتَ سارة؟

الصحف التي تصلني هنا تسأل أيضاً: لماذا قتل





الكاتب ابنته؟

اللعنة. كيف أقتل سارة؟ ولماذا يكذبون ويقولون إنها حبلى؟ سارة ما زالت طفلة. الصور التي ينشرونها ليست لسارة. سارة أطول من هذه الجثة المغطاة. سارة ملكة جمال البلاد.

لا أحد يصدّق أنني قتلت حياة. قتلتها. اعترفت. تذكّرت واعترفت. اعترفت لهم بكلّ شيء. اعترفت يا ايفو وجسّدتُ لهم الجريمة. في ذلك اليوم الذي قالت لي: "أنا حبلى منه" وسألتني: "هل ستبقى معي؟" قتلتها. قتلتها عندما رفعت إصبعها نحوي قائلةً: "سأمهلكَ أسبوعاً".

قتلتها. كنّا في المرآب، في الطابق السفلي. ركضت وراءها، وبرافعة العجلات هشّمتُ رأسها، وبالبرغي الأميركي الذي كان في جيبي انهلتُ على بطنها. ستّ طعنات بالبرغي الأميركي ليكتمل حملها اللعين. لا أحد يصدّقني.

الكل ينفي. الكل ينفي، ويؤكّدون مقتل سارة. بعد قليل سيقتحمون غرفتي ويضربونني حقنة في الوريد.

ايفو، أنت ملجئي الأخير. لا أريد أن أُشنق بهذه التهمة ولا أن أعيش بها. أنا اعترفت. قتلتُ حياة، لكن سارة لا. لا يمكن أن تحبل منه. كانت تمزح. أسبوع. ستمهلني أسبوعاً لأفكّر هل سأقبل أم ستهرب





معه. هذا كلام محرّف. المحقّق حرّف أقوالي يا ايفو. أنت تعلم أنهم يحرّفون؛ يحرّفون كل شيء.

ماركيز يضحك يا ايفو؛ يضحك مني. أرجوك لا تتركني لبشاعة عينه. أنت تذكر يا ايفو أنني كنت أسأل عنك عندما كان الجميع يتخلّون عنك. تذكّر أنني تركت البيت عندما جاءت صديقتك الإيطالية. كانت أمك ترفض أن تدخل إلى بيتها الايطاليات واليابانيات والألمانيات وحتى الفرنسيات والبولونيات. ايفو، أنا لا أمنّ عليك بتلك الخدمة. أُذكّرك فقط أنني كنت صديقاً لك دائماً.

ايفو، أنا لست مريضاً. لست مريضاً؟ آه. قل لهم إنهم يكذبون. هناك بالتأكيد مؤامرة ضدّي.

بعد قليل سيأتون. سيأتون لِحَقني كالعادة. سيقتلونني. سأجد نفسي غداً ثقيلاً لا أقوى على شيء. ككل مرة. ايفو، أصبحت بدينا ككركدنٍ ضخم. لم أعرف نفسي في المرآة. ماركيز يا ايفو. يضحك. يضحك ابن الكلب. لا تقرأ له بعد اليوم. حلّفتك بقططك لا تقرأ له شيئًا بعد اليوم. هو من أتى بي إلى هنا. إنه ساحر. ساحر وسحره أسود. لن تنجو منه. أخبر الجميع بذلك. لكن قبل ذلك أريد أن أراك. رافع عني يا ايفو. المحامي الذي عيّنوه لي متواطئ. لا يفهم شيئاً مما أقوله له. يسألني هو الآخر: لماذا





قتلت سارة؟ يقول لي: "اعترف وسأساعدك". كيف سيساعدني ابن القحبة؟ كيف سينقذني إن قلت إنني قتلت سارة؟

ايفو، اذهب إلى مطعم البحيرة. اسمه "رشيق"، اسأله هل ما زالت سارة تأتي للغداء هناك كل يوم جمعة.

لا تتركني لهؤلاء القتلة. لا تتصل بناديا. هي سبب كل شيء. ايفو، عدني ألاّ تتركها تقرب جثتي إن متّ. إن لم تدركني سيقتلونني. حقنة الاكوانيل كل يوم تكبر. وسارة لا تأتي لإنقاذي.





معه. هذا كلام محرّف. المحقّق حرّف أقوالي يا ايفو. أنت تعلم أنهم يحرّفون؛ يحرّفون كل شيء.

ماركيز يضحك يا ايفو؛ يضحك مني. أرجوك لا تتركني لبشاعة عينه. أنت تذكر يا ايفو أنني كنت أسأل عنك عندما كان الجميع يتخلّون عنك. تذكّر أنني تركت البيت عندما جاءت صديقتك الإيطالية. كانت أمك ترفض أن تدخل إلى بيتها الايطاليات واليابانيات والألمانيات وحتى الفرنسيات والبولونيات. ايفو، أنا لا أمنّ عليك بتلك الخدمة. أُذكّرك فقط أنني كنت صديقاً لك دائماً.

ايفو، أنا لست مريضاً. لست مريضاً؟ آه. قل لهم إنهم يكذبون. هناك بالتأكيد مؤامرة ضدّي.

بعد قليل سيأتون. سيأتون لِحَقني كالعادة. سيقتلونني. سأجد نفسي غداً ثقيلاً لا أقوى على شيء. ككل مرة. ايفو، أصبحت بدينا ككركدنٍ ضخم. لم أعرف نفسي في المرآة. ماركيز يا ايفو. يضحك. يضحك ابن الكلب. لا تقرأ له بعد اليوم. حلّفتك بقططك لا تقرأ له شيئًا بعد اليوم. هو من أتى بي إلى هنا. إنه ساحر. ساحر وسحره أسود. لن تنجو منه. أخبر الجميع بذلك. لكن قبل ذلك أريد أن أراك. رافع عني يا ايفو. المحامي الذي عيّنوه لي متواطئ. لا يفهم شيئاً مما أقوله له. يسألني هو الآخر: لماذا





قتلت سارة؟ يقول لي: "اعترف وسأساعدك". كيف سيساعدني ابن القحبة؟ كيف سينقذني إن قلت إنني قتلت سارة؟

ايفو، اذهب إلى مطعم البحيرة. اسمه "رشيق"، اسأله هل ما زالت سارة تأتي للغداء هناك كل يوم جمعة.

لا تتركني لهؤلاء القتلة. لا تتصل بناديا. هي سبب كل شيء. ايفو، عدني ألاّ تتركها تقرب جثتي إن متّ. إن لم تدركني سيقتلونني. حقنة الاكوانيل كل يوم تكبر. وسارة لا تأتي لإنقاذي.





**ايفو،**

لماذا لا تردّ على رسائلي؟

سأقول كل شيء. لم يعد هناك وقت.

ايفو، أنا أعلم من قتل سارة، أعرفه كما أعرفك. رأيته آخر مرة كان بغرفة نومها يضاجع أمها. رأيته وهو يشدّ فم أمها بحمّالات صدرها. هي أنكرت أمامي أنه كان هناك. رأيته يتسحّب مثل ثعلب. هي لا تعلم أنه عاد.

عاد الوغد. عاد مع سارة. وفي نفس المكان رأيته يشدّ سارة من شعرها كما كان يشدّ ناديا من شعرها. سمعت صوتَها الذي أعرفه. أي أي أي أي، لم تكن ناديا هذه المرة كانت سارة. سارة أيضاً أرادت أن توهمني أنها وحيدة وراحت تصرخ في وجهي: "اخرج، اخرج أنا عارية. كيف تدخل على ابنتك هكذا؟".

كان هناك يحدّق في عيني هذه المرة ببرود. لم يهرب مثل المرة السابقة.

ايفو، لقد قام من السرير أمامي وارتدى قميصي الأبيض وبدلتي الرمادية وانتعل حذائي الأسود الجديد





ووضع نظاراتي "الرايبان" وغادر في هدوء. كانت يداي مشلولتين. كانت سارة هناك تبكي وهي تلفّ اللحاف على صدرها. كنت أسألها: من الذي أتى بملابسي إلى غرفتها ولماذا ارتدى ملابسي وخرج؟ أين ألقى ذلك الرجل بملابسه؟

كانت سارة تبكي وترتعد.

لماذا كانت سارة ترتعد يا ايفو؟ خبّرني أرجوك. الصداع يا ايفو. ماذا أفعل بهذا الصداع يا ايفو؟ كم أشرب من البيرة لأوقفه، إنه يحطّم جمجمتي كمطرقة.





**أبي العزيز،**

لا تحزن. لكنّك السبب.

هذه ليلة عيد الميلاد، انتهت ككلّ مرة. وها قد عدتُ كالعادة دون أن يسأل عني أحد. لا يمكن أن أبيت خارج البيت دون استشارة العائلة. ها أنا في الشرفة وحيدة، بعد أن طار السكر، محاطة برواياتك الكثيرة. لا أدري لماذا أخرجت كل تلك الكتب اللعينة من خزانتي ولا كيف فعلت ذلك. كل ما أذكره أنني كنت أرقص التانغو هناك وكان الجميع يصفّقون لي. أنت تعلم أنني رائعة في التانغو. كنت علّمتك قليلاً لكنك تنسى دائماً وأضطر أن أعلّمك من جديد. أنت تنسى التانغو كما تنسى كل شيء.

الآن قررتُ أن أكتب لك لأعترف. لقد سئمت حياتي معك ومع ناديا ومع كل هؤلاء الغرباء. ناديا الآن كعادتها تنام في حضن رجل غريب. ما زالت تختار ليلة عيد الميلاد رجلاً مجهولاً من مرقص مجهول، كما التقطتك يوماً. طبعاً أنت لم تكتبْ هذا. تدّعي دائماً أنها اقتحمت عليك غرفتك وأهدتك تلك الصورة البشعة لماركيز. تخلق دائماً





الأوهام وتصدّقها. الرجل الذي تنام معه الآن يبدو قذراً. كفّ إحدى قدميه التي رأيتها تطلّ من تحت اللحاف قذرة. قذرة جداً وكبيرة جداً. هذه عادتها. ليلة عيد الميلاد ليلة شعبية. ليلة للشعب. فضائحها الآن أصبحت معلنة. غداً ستكون صورها مع عشيقها القذر تزيّن الصحف الصفراء. المشكل أنهم بعد يومٍ سينسون وستعود ملكة الإعلام بعيدة المنال حتى على الخيال. شعب الزهايمر. بلا ذاكرة. أنت أيضاً بلا ذاكرة ولكنك أقبح منّا جميعاً لأنك تدّعي ذاكرةً ليست لك. تهلوس طوال الوقت.

هناك بقع زرقاء على زندي الأيمن. لا أذكر شيئاً. الأكيد أنني بالغت في شرب الويسكي. من المرجّح أن أحدهم أراد أن يراقصني بالقوة.

عليّ أن أعترف لك، أبي العزيز، أنك قذر. قذر يا أبي. لكن لا تحزن كثيراً، فأغلب من عرفت من الآباء كانوا مثلك قذرين. كل آباء صديقاتي كانوا قذرين. النساء أيضاً قذرات. كلهن ناديا فلا تحزن بهذا الشأن. جلّ الرجال يتمسّكون مثلك بسيقان نسائهم. لا يقوون على تركهن. يخونون ويبكون ويُخانون ويبكون ويخونون.

أبي العزيز، لا تحزن.

فقد أشرقت الشمس وناديا طردت الرجل القذر





من فراشها. إنه يوم جديد وعام جديد. ناديا تغتسل. اليوم ستكون على موعد مع الاجتماع السنوي للموظفين. ستكون رائعة كما تعلم. تبتسم وتضحك وتمنح المنح للمتميزين. اليوم سيحب الجميع ناديا كما كنت تحبها. لكنني أكرهها وأكرهك أبي العزيز.

كيف قضيت ليلة عيد الميلاد؟ اصطدت مومساً كالعادة من شارع باريس. حملت عنها كيس البلاستيك حتى تبعد عنك الشبهة وجررتها بسرعة إلى سيارتك. هل ما زلت تركن سيارتك في ذلك المرآب السفلي؟ لماذا لم يسألك أحد عن سرّ ذلك الولع بالطابق السفلي؟

رأيتك يوماً هناك. كنتُ معه ورأيتُك تجرّها إلى هناك. كما فعلتْ لك فعلتُ له. ومثلما طردتها وركلتها خارج سيارتك فعل.

هل عرفت الآن كم أكرهك؟

هل تريد المزيد؟

أسبوع كامل وأنت تكتب وتكتب وتطلّ من الشبّاك كمجرم مطارَد. ماذا تكتب؟ أخبرني بربك لماذا تكتب الآن ولماذا هذا الجزء؟ منذ أن أخبرتك أنني حبلى منه وأنت تغلق على نفسك في شقتك بحي النصر تطلب البيتزا تلو البيتزا وتكتب. فكل التليفزيونات تبثّ قصصك في رمضان. وأنت تكتب





وتكتب. اللعنة.

أريد أن أخبرك أنني عرفتُ. أخيراً عرفتُ أنك لا شيء. مجرّد كذبة. فساء ديك عنين. حكى لي حسن كل شيء. هددني وأخبرني بكل شيء. حدثني عن قحابك الكثيرات؛ عن الساقطة هند قحبة المونديال التي جعلتك نجماً، والساقطة ناديا قحبة الإعلام التي حوّلتك إلى طاغية. كشف ستيلا، كما تنادونه، أنكم أوغاد، مجرّد أنذال كلكم في خدمة بعض. لم يعد الآن من سر.

عُد إلى قبوك اللعين واهتمّ بفئرانك. هم يحتاجونك أكثر. لم تنجب غير الفئران أيها النذل العنين.

كيف ستهتم بي؟ كيف ستشعر بي؟ كيف سترى آثار الحقن في ذراعي؟ كيف ستنتبه إلى انحراف ناديا؟ كيف سترى عشاقها؟ اكتب، اكتب المزيد من القصص. اكتب حتى تدمى أصابعك. أطلق شعرك وأطلق لحيتك واكتب. كلما أهملت نفسك أصبحت أفضل وأشهر. التهم حبات الفيتامين. وجدت بسلّة المهملات ست عشرة علبة "فيتاكتيف"، أنت تحتاج لل-1B و 2B و 6B و 12B، تحتاج دائماً المزيد من الفيتامين لتكتب المزيد من الهلوسات ولتكسب المزيد من النقود.

هل تريد المزيد؟





البارحة كان معي هنا؛ في غرفة نومك. ارتديتُ له بدلتك الرمادية على اللحم. آخ، لست دقيقة. ارتديتُ تنورة ناديا السوداء القصيرة وجاكيت بدلتك الرمادية. اشترطت عليه ألاّ ينزع عنّي شيئاً. ضاجعني هكذا. كنّا الثلاثة. ضاجعنا جميعاً. طلبت منه أن يتفل علي بعد أن ينتهي. كنت مخمورة. هو أيضاً قذر. رفض أن يتفل عليّ. ذكّرته بأن زوجته تخونه في تلك اللحظة وأنّ هناك رجلاً قذراً يتفل عليها. فتفل. تفل عليّ في النهاية وخرج.

أحبك أيها الوغد.





**"أخبار الجمهورية"، 03 يونيو 2014**

هل سيعرض المسلسل هذا العام؟

في تصريح **لأخبار الجمهورية** قال مدير برامج التلفزيون إنه لم يتأكد بعد إن كانت القناة ستقدّم الجزء التاسع من مسلسل "عشاق وأنذال"، فلم يقدّم كاتب السيناريو كمال اليحياوي إلى الآن الجزء الأول من العمل والذي ينصّ عليه العقد المبرم بينه وبين القناة. وحول إمكانية مقاضاة الكاتب في صور الإخلال بالعقد امتنع المسؤول عن الإجابة واكتفى بقوله: علينا أن ننتظر. لا أحد يعلم ماذا يحدث بمطابخ الكتّاب.

**"الشروق"، 03 يونيو 2014**

تعاقد النجم الأرجنتيني الشهير غابريال باتيستوتا مع المنتخب القطري لكرة القدم للإشراف عليه لمدة خمس سنوات قادمة، وقد صرّح في مؤتمر صحفي عُقد بالدوحة أنه عازم على المضي بالمنتخب لانتزاع لقب كأس آسيا. في حين تكتم نجم التسعينيات عن تفاصيل العقد وقيمته.

جدير بالذكر أن باتيستوتا سبق وأن لعب سنة 2004 في النادي العربي القطري بعد اعتزاله اللعب مع المنتخب الأرجنتيني والبطولة الإيطالية وتمكّن في موسمه الأول من تسجيل 25 هدفاً في 18 مباراة.





**جريدة "الصباح"، 09 يونيو 2014**

من قتل سارة اليحاوي؟

جُمعت أشلاء جثة فتاة من أمام قطار بالضاحية الشمالية قرب محطة الـ TGM الرابطة بين تونس العاصمة والمرسى. وقد تبيّن بعد ذلك أن الجثة للفتاة سارة اليحياوي ابنة الكاتب كمال اليحياوي ونا ديا عبد الناظر سيدة المجتمع وصاحبة مؤسسة قرطاج نيوز. وكشفت الأبحاث أن القتيلة كانت قد هددت بالانتحار منذ أيام عبر حسابها بالفايس بوك الذي كتبت عليه جملة تقول فيها: "لأن الحياة قذرة لم تعد تليق بي. لا تبحثوا عني فأنا في المكان الذي طالما تمنيته. اذهبوا إلى الجحيم".

والدها، كما يدّعي، لم يسمع إلاّ بعد أيام من الحادث بعد أن أخبره أصدقاؤه الذين قرأوا الخبر في الصحف. المفاجأة أن الطب الشرعي أثبت أن الجثة ماتت قبل أن يدهسها القطار وأنها تعرضت للضرب بآلة حادة على مستوى الجمجمة. والمفاجأة الثانية التي كشفتها التقارير الطبيّة أن الفتاة كانت حبلى في شهورها الأولى وأنّ الجنين وُجِد ميتاً في رحمها.

وتوجّه الأم التهمة للأب بقتل ابنته التي كانت، حسب والدتها، تتردد عليه في الأيام الأخيرة.

***

طوى ايفو قصاصات الصحف وأغلق الدفتر الأسود الذي ظل





يقرأه منذ الصباح، ونهض عن الأريكة. أعاده إلى الكيس الأسود مع أغراض صديقه كمال اليحياوي. ابتسم للصورة. اتّسعت هالة الكدمة حول عين ماركيز بينما تعالى مواء القطط الجائعة حوله.





# 12 يونيو 2014

مخفر الشرطة. مكتب التحقيقات. ضابط في زي مدني يتحرك نحو النافذة. يلتفت نحو المرأة الأنيقة التي تضع ساقًا على ساق أمام مكتب خشبي مثقل بالأوراق والملفات. يدخن في تذمّر قبل أن يبدأ التحقيق.

## 1

– الاسم الثلاثي؟

– ناديا عبد الناظر.

– السن؟

– 42 سنة

– المهنة؟

– مديرة مؤسسة قرطاج نيوز.

– من تتهمين بقتل ابنتك؟

– هو بلا شك. شخص عدواني.





- من هو؟
- والدها؛ المعتوه كمال اليحياوي.
- لماذا يقتل أبٌ ابنته؟
- كانت متمردة وكان يبيت لها. قلت لها مرات ألاّ تقربه لكنها لم تسمع كلامي.
- ما الذي يدفعه إلى قتلها؟ هناك طرق كثيرة للإقناع غير القتل.
- كان يريد أن يسيطر. هو رجل لا يتحاور.
- هل كان عنيفاً معك؟
- نعم كان عنيفاً.
- ما أدلتك على ذلك؟
- ظهري ما زال بآثار حزامه.
- كيف تتحمل امرأة نافذة مثلك قسوة رجل؟ أمر غريب.
- كنت أحبه.
- ليس مقنعاً.
- فرضته علي العائلة ورفضت. كان معدماً. خذ ما تراه مقنعاً.
- الكاتب معدم؟ قولي شيئاً غير هذا.
- عندما تزوجته.
- لماذا اخترته إذن؟
- هذا لا علاقة له بالتحقيق.
- أنت تتهمينه بقتل ابنتك إذن؟
- نعم. هو من قتلها. سبق وأن حاول قتلي.
- هل قتلها انتقاماً منك؟





# 12 يونيو 2014

مخفر الشرطة. مكتب التحقيقات. ضابط في زي مدني يتحرك نحو النافذة. يلتفت نحو المرأة الأنيقة التي تضع ساقًا على ساق أمام مكتب خشبي مثقل بالأوراق والملفات. يدخن في تذمّر قبل أن يبدأ التحقيق.

**1**

- الاسم الثلاثي؟
- ناديا عبد الناظر.
- السن؟
- 42 سنة
- المهنة؟
- مديرة مؤسسة قرطاج نيوز.
- من تتهمين بقتل ابنتك؟
- هو بلا شك. شخص عدواني.





- من هو؟
- والدها؛ المعتوه كمال اليحياوي.
- لماذا يقتل أبٌ ابنته؟
- كانت متمردة وكان يبيت لها. قلت لها مرات ألاّ تقربه لكنها لم تسمع كلامي.
- ما الذي يدفعه إلى قتلها؟ هناك طرق كثيرة للإقناع غير القتل.
- كان يريد أن يسيطر. هو رجل لا يتحاور.
- هل كان عنيفاً معك؟
- نعم كان عنيفاً.
- ما أدلتك على ذلك؟
- ظهري ما زال بآثار حزامه.
- كيف تتحمل امرأة نافذة مثلك قسوة رجل؟ أمر غريب.
- كنت أحبه.
- ليس مقنعاً.
- فرضته علي العائلة ورفضت. كان معدماً. خذ ما تراه مقنعاً.
- الكاتب معدم؟ قولي شيئاً غير هذا.
- عندما تزوجته.
- لماذا اخترته إذن؟
- هذا لا علاقة له بالتحقيق.
- أنت تتهمينه بقتل ابنتك إذن؟
- نعم. هو من قتلها. سبق وأن حاول قتلي.
- هل قتلها انتقاماً منك؟





- ربما. إنه يهلوس طوال الوقت.
- ما علاقتك بحسن البارمان؟
- أي حسن؟
- حسن يوم الخميس.
- لا أفهمك. أي خميس؟
- من كان في الخارج يحدثك.
- عن أي حسن تتحدث؟ أين السيد رشيد؟ أريد السيد رشيد ليحقق معي. أنت لا تعرف من تحدّث.
- أرجو أن تهدئي سيدة ناديا. سأتركك دقائق وسأعود لنواصل التحقيق.

***

- ها. هدأتِ سيدتي؟ نستأنف. هل لك أبناء غير سارة؟
- لا.
- لم يكن يريد أطفالاً؟
- ليس برغبته.
- ألم يكن يريد أن تأتي سارة؟
- أريد السيد رشيد من فضلك.
- طيب سأطلبه. امضي على هذه الأقوال أولاً.

...

يصل الضابط رشيد. ينظر إلى زميله مستفهماً. يقلب الزميل





شفته السفلى مشيراً إلى المرأة التي تجلس أمام المكتب تحمل رأسها بين كفيها. يغادر الضابط المكتب ويترك الضابط رشيد الذي يشير إلى عون التسجيل أن يغادر هو الآخر. ظل وحيداً مع ناديا التي تنهض غاضبة:

– يجب أن تفعلَ شيئاً. لا يمكن أن تتركني هنا وحدي لزملائك ينهشونني. عليك أن تجد حلاً.

– اهدئي.

– هو من قتلها وعليه أن يدفع الثمن.

– كيف سيقتل أب ابنته بلا سبب؟

– لا تتغابَ، أنت الوحيد الذي يعرف جيداً أنها ليست ابنته.

– لا أحد يعلم بهذا. أنتِ الوحيدة التي تعرفين هذا وإعلان ذلك سيسيء إليك.

– لماذا طلبتك إذن، ولماذا دفعت لك كل ذلك المال؟

– المسألة معقدة. لست وحدي من يقرر.

– دائماً تجد الحل المناسب. كنت دائماً في خدمة العائلة ولم نخذلك يوماً.

– هذه المرة الأمر مختلف والعيون تراقبنا ولم نعد نثق في أحد هنا.

– لك طرقك الأخرى. دائماً كنت تقول عندي "بلون B".

## 2

– كمال بن الهادي اليحياوي.





- المهنة؟

- كاتب روايات سيناريوهات.

- السن: خمسة وأربعين سنة.

- هل تعلم لماذا أنت هنا؟

- لا.

- أنت متّهم بالقتل.

- جيد.

- جيد أنك متّهم بالقتل؟!

- ليس مهماً.

- أنت متّهم بقتل ابنتك.

- ابنتي من؟

- أنت قتلت ابنتك سارة.

- سارة ليست ابنتي.

- وجدت مقتولة عند سكة الحديد.

- الحديد لا يجرؤ.

- أمها تتّهمك.

- أمها؟

- ناديا عبد الناظر تقول إنك أنت من قتلها قبل أن ترميها أمام القطار.

- هي التي أرادت أن تسافر.

- أنت تعترف أنك سفّرتها.

- سارة لا تحتاج من يسفّرها.





- هل تعني أنها انتحرت؟
- سارة لا تنتحر.
- هناك من هشّم رأسها.
- سارة سافرت.
- رأيتها وهي تسافر؟
- رأيتها.
- هل كانت تتألم؟
- كانت تبتسم.
- هل أخذت الطائرة؟
- سارة تحب القطار.
- أخذها القطار إذن؟
- ربما.
- لكن كيف قتلتها؟
- لم أقتلها.
- هل قتلتها بهذه؟
- ما هذه؟
- هذه الفأس التي وجدناها في شقتك.
- هذه فأس ايفو.
- صديقك اليهودي؟
- نعم.
- وجدناها في شقتك.
- أخذتها من شقته عندما قتلت القطة.





- قتلت القطة!

- نعم.

- يعني اعترفت أخيراً بأنك من قتلها؟

- نعم قتلتها وفتحت بطنها.

- لماذا؟

- كانت حامل.

- ألهذا قتلتها؟

- نعم قتلتها لأنها كانت قبيحة بحملها وركيكة.

- وماذا فعلت بعدها؟

- أخرجت الأجنّة.

- لم يكن مولوداً واحداً؟

- تسعة.

- حامل بتسعة؟

- نعم.

- يكفي من هذا الهراء. لماذا قتلت ابنتك؟

- لم أقتلها.

- كنت تعترف.

- أنا لم اعترف وهي ليست ابنتي.

- كنت تعترف وقلت إنك قتلتها بالفأس.

- كنت أتحدث عن قطة ايفو.

- والفأس؟

- كسرت ذراعها فأخذتها لأصلحها.





- أصلحتها وقتلت بها سارة؟
- لم أقتل بها أحداً.
- جارك يقول إنك هددته يوماً به.
- كنت عائداً بها بعد أن أصلحت يدها. كانت صدفة.
- هل تهدد بالقتل بهذه السهولة؟
- كان فظاً.
- فظاً فقط؟ رآه البعض يرقص التانغو مع سارة في مرقص.
- سارة لا ترقص مع هكذا أشكال. يكذب.
- لماذا هددته إذن؟
- كان يزعجها على السلّم.
- يكفي اليوم. وقّع هنا.

## 3

- انزعي الشوينغوم.
- نزعناه.
- متى عرفت المتهم؟
- من عشرين سنة.
- كان طالباً؟
- نعم. وكنت لا أزال في غاية الجمال.
- أجيبي على السؤال فقط.
- حاضر، لكن تخيّلني قبل عشرين عاماً.
- أنهي. كيف كان المتهم؟





- وسيماً مثل أنطونيو بانديراس. فقط على سمرة زائدة. لا تقل لي إنك لا تعرف أنطونيو بانديراس! أنتم الشرطة لا تعرفون إلاّ سلفيستر ستالون.

- كفّي عن التهريج.

- قلت للضابط المرة السابقة أن أقدّم لكم دروساً في السينما هنا في المخفر أو في الداخلية لكنه لم يسمع كلامي.

- هل كان فعلاً عصبياً وعدوانياً منذ كان شاباً؟

- كان عصبياً ولكن ليس عدوانياً.

- كيف كان آخر مرة معك؟

- آه يا لئيم.

- **كفي عن القحب وأجيبيني.** لا تعنيني كثيراً علاقتك بسي رشيد. لن تمنعيني من تطبيق القانون.

- طبّق يا عزيزي. أمنيتي أن تطبّق عليّ القانون. أتعلم؟ أنت الوحيد الذي لم يطبّق عليّ القانون في هذا المخفر.

- كيف كان معك آخر مرة؟

- كان رائعاً، ثوراً لم يهدأ. لم ينزل أبداً.

- أقصد نفسيته؟

- نفسيته عالية. من يكون مع هند لا بدّ أن تكون نفسيته عالية. عالية جدااا. للأسف أنت لم تجرب علوي.

- ربما سأعلّقك من قدميك يوماً.

- يا ريت. علّقني الآن.

- **ابتعدي عني. اجلسي في مكانك.**





- جلسنا.

- زوجته تتّهمه بقتل ابنته، هل يمكن أن يفعلها؟

- يقتل؟ هو لا يقتل. يعرف كيف يحيي فقط. انظر. كل هذا الجمال كان ميتاً قبل أن يأتي ويحييه.

- هل كان يحدّثك عنها؟

- سارة كانت كل شيء بالنسبة إليه.

- وناديا؟

- لا أحب سيرة هذه المرأة، أكرهها.

- لماذا؟

- تحدثت عني في جريدتها بالسوء.

- ماذا قالت؟

- قالت إنني قحبة السينما.

- والحقيقة؟

- السينما هي القحبة. هي أيضاً قحبة الصحافة. مشكلة الصحفيين أنهم يفسقون ويفسدون ويزنون ويكذبون ويرتشون ويشربون المخدرات والكحول وتجدهم يكتبون عن الفسّاق والزناة والمرتشين والمدمنين كما لو كانوا رهباناً.

- أنت تكرهينها إذن؟

- أكرهها وأكره كل الصحفيين.

- المتّهم أيضاً يكتب بالصحافة.

- لكنه حنون، حنون جداً، حتى وهو ينزع حزامه.

- هل كان يضربك بالحزام؟





- وهل من جرّبت حزامه يمكنها أن تنساه؟
- هل كان يضرب كل النساء؟
- هي التي علّمته الضرب. هذا فقط ما يشفع لها عندي.
- هي التي طلبت منه أن يضربها؟
- الكل يعلم أن ناديا مازوشية، وأنها تختار جلاديها من الشارع.
- من أين عرفتِ ذلك؟
- هناك أشياء لا تتجمّع إلاّ عند قحبة السينما.
- هل التقيت بأحدهم؟
- أغلبهم. أنسيت أن المونديال أمام مبنى جريدتها. مشكلتها أنها تخون حتى عشّاقها. تستعملهم مرة واحدة. يأتون بعد ذلك يروون القصص في كافيتيريا الموندیال. لا أحد يصدقهم. أنا فقط أصدقهم. كلهم يروون نفس الحكاية.
- أي حكاية؟
- امرأة تحب أن تُجلد. يقول حسن إنها تريد أن تُجلد حتى الاغماء.
- من حسن؟
- هل قلت حسن؟
- قلت حسن.
- لم أَقل حسن. ألن تجرّب؟
- ماذا أجرّب؟
- السينما. قل لي، قبل كل شيء، حزامك جلد ثور أم جلد بقرة؟





- وقّعي.
- أوقّع. لماذا لا أوقّع، لكن قل لي متى تقع يا وسيم؟

## 4

- اسمك ولقبك؟
- حسن بن الطاهر الوسلاتي.
- العمر؟
- 47 سنة.
- السكنى؟
- مرناق.
- المهنة؟
- عامل في حانة.
- بارمان يعني؟
- نادل.
- علاقتك بالمتهم؟
- كان زميل دراسة. زميل قديم فقط.
- كم لك من وقت لم تره؟
- من زمان. منذ أن كنا زملاء.
- لكن هناك من رآه في JFK منذ أسابيع قليلة وكنت تتحدث إليه.
- نعم. تلك المرة الأولى التي أراه فيها منذ افترقنا.
- كنت نادلاً في فندق الدبلوماسي منذ سنوات وكان زبونا





وفياً، لماذا تنكر ذلك؟

- كان مجرد حريف وأنا لا أذكر كل الحرفاء.

- أنت تتلاعب بالتحقيق. أجب بدقة ودون مراوغة ودون أن تخفي شيئاً.

- حاضر.

- هل تعتقد أنه قادر على القتل؟

- طبعاً، يمكن أن يقتل أباه. هذا الرجل غريب. عصبي طوال الوقت. أذكر أنه هشّم رأس رجل في الدبلوماسي.

- لماذا؟

- يقول إنه تحرش بزوجته.

- هل كانت زوجته ترافقه دائماً عندما يأتي الحانة؟

- أحياناً.

- هناك تعرفت عليها إذن؟

- أنا؟ أنا لا أعرف زوجته.

- لا تعرف السيدة ناديا عبد الناظر؟

- لا أعرفها.

- قلت يكفي من الكذب، وقل الحقيقة قبل أن تفلت أعصابي.

- لكني لا أعرفها.

- ومع ذلك كنت تزورها في بيتها؟

- أنا؟

- يوم الخميس من كل أسبوع، الساعة الخامسة. ماذا كنت تفعل عندها؟ أنت عشيقها؟





- أبداً. كنت فقط أزورها لأحمل لها بعض الأغراض.

- أي أغراض يمكن أن يُكلّف بجلبها نادل في حانة؟

- الخمر.

- أو المخدرات.

- لا. مخدرات. لا. كانت تحب أن أؤمن لها الويسكي وكانت لا تريد أن تبقي شيئاً في بيتها. كانت تخشى على سارة من الإدمان.

- سارة؟ إذن تعرف سارة؟

- نعم.

- رأيناها تدخل معك الشقة يوماً. هل كنت أنت من يؤمّن لها حقن المخدرات؟

- أنا! مستحيل. لا، أنا بارمان، برمان فقط.

- يوم الحادثة مرّت عليك بالـ JFK، لماذا؟

- لا أدري، لم أكن هناك. أنا أصل مساءً.

- كيف عرفت أنها مرّت صباحاً؟

- توقّعت.

- توقّعت ماذا؟

- توقّعت ما دمت لم أرها مساءً وأنت قلت دخلت الحانة فهذا يعني أنها جاءت صباحاً.

- فتاة مثل سارة تقضي ليلها تسكر غريب أن تترك فراشها بسهولة صباحاً. ماذا جاءت تفعل؟

- لا أدري.

- هل يمكن أن يقتلها؟





- من؟

- والدها.

- كمال يمكن أن يفعل أي شيء. منذ أن كان في المدرسة كان شريراً لكنه كان يبدو ملاكاً.

- لماذا تكرهه وتحقد عليه؟

- لا أكرهه ولا أحقد عليه.

- ماذا كانت تقول لك السيدة ناديا في الرواق؟

- لا شيء، كانت تسألني عن سبب وجودي هنا وعن علاقتي بزوجها.

- وماذا قلت لها؟

- أنا صديق طفولته.

- أنت صديق طفولته أم غريمه؟

- لست غريمه. كان متكبراً فقط.

- فانتقمت منه؟

- أنا! بماذا انتقمت؟

- بمعاشرة زوجته وابنته.

- أنا؟

- هل كنت تحبها؟

- كيف أحبها؟

- هل كانت تحبه؟

- لا أدري.

- هل كانت جيدة معك؟ هل كانت سخية؟





- ماذا تقصد؟
- تستعمل هذا الحزام؟
- لم أضربها يوماً.
- من اتّهمك بضربها؟
- لا أفهمك.
- هل لك أقوال أخرى يمكن أن تفيد القضية؟
- لا. لا شيء.
- وقّع. قد نحتاجك قريباً. لا تغيّر مكان إقامتك، ولا تفكّر في السفر.

## 5

- ايفو راؤول بشيري.
- يهودي؟
- أي نعم. هناك مشكل؟
- السن؟
- 46سنة
- المهنة؟
- محام.
- علاقتك بالمتهم؟
- صاحبي.
- آخر مرة رأيته؟
- من شهرين.





- والمناسبة؟

- لا مناسبة تجمع الأصحاب. جاء لنشرب بعض البيرة.

- إذن كان يسكر؟

- الأصحّ كان يشرب.

- هذا يرجّح أنه يمكن أن يفعلها.

- حسب كلامك هذا أن أكثر من ثلاثة أرباع التونسيين قتلة إذا كان كل من يشرب البيرة مشروع قاتل.

- الخمر تُفقد الوعي.

- والدين كذلك.

- ماذا تقصد؟

- بما أن الشعب التونسي مسلم وهناك إرهاب في العالم باسم الإسلام فهذا يعني أن كل المجتمع التونسي إرهابيون ومشاريع إرهابيين.

- أنت محام وتناور وهذا ليس مجال ذلك.

- مجال ماذا إذن؟

- مجال تهمة صاحبك.

- لماذا هو متهم؟

- ابنته وجدت مقتولة.

- هل كل أب متهم بقتل ابنته إن وجدت مقتولة؟ أي فرويدية مقلوبة هذه؟

- أنا أيضاً أعرف فرويد وليس مجالنا.

- أعلم أنك وصلت للباكالوريا. معظم الذين يفشلون في





دخول الجامعة يدخلون الشرطة.

- لا دخل لك بذلك، أجب عن السؤال فقط.

- أنا لا أجيب إلاّ عن سؤالك.

- يقول المتهم إن الفأس التي وجدناها عنده تخصّك.

- الشاقور؟

- الفأس ذات اليد المزركشة. هذه؟

- اللعنة. هو من أخذها؟ وأنا أسأل أين اختفت!

- أنت تتهمه بسرقتها إذن؟

- قلت أخذها ولم أقل سرقها.

- يقول إنه كسر يدها وأخذها ليصلحها.

- إذن هو ذاك. لم يسبق أن سرق من بيتي شيئاً وقد تركته فيه شهوراً.

- أثبتت تقارير الطب الشرعي أن سارة قتلت بجسم صلب وحاد.

- هل وجدتم دليلاً على ذلك.

- وجدنا الفأس.

- الفأس قطعة ديكور كانت معلقة في بيتي.

- لم تعد في بيتك.

- لكنكم وجدتمونا في بيت وليس فوق جثة.

- لماذا تمتلك تلك الفأس؟

- أحب الهنود الحمر.

- تحب أفلام رعاة البقر إذن.





- قلت أحب الهنود الحمر وهناك فرق.

- تشعر بالاضطهاد؟

- ليس موضوع التحقيق.

- كنت طلبت سارة للزواج؟

- نعم كان ذلك من زمان.

- ورفضت؟

- أبوها رفض.

- آه. صاحبك رفض. ولماذا؟!

- لأنني يهودي.

- آه هذا جديد. صاحبك ويرفضك لأنك يهودي.

- عادي. حكاية تتكرر كل يوم حتى بين الأصدقاء الأمازيغ والعرب. إنها التقاليد.

- هل هو من رفض أم ناديا؟

- ناديا أصل الداء، هي من تسبّب في كل هذا.

- كيف؟

- البرجوازية القذرة. حطّمته وتسبّبت في مقتل سارة.

- أنت إذن حاقد على ناديا؟

- لا أنكر. هذه امرأة قاسية. نموذج للمستبد.

- لم أفهمك. وضّح.

- قتلته عرقاً عرقاً بعد أن دفعته إلى الجنون شيئاً فشيئاً.

- كانت تخونه؟

- الكل يعلم ذلك.





- ناديا تتّهم صديقك بقتل ابنته.
- لا يمكن أن يفعلها، كانت سارة كل حياته.
- لكنه كان مضطرباً.
- كلنا نضطرب.
- أعتقد أنك باعتبارك محامياً عليك أن تعمل على كشف الحقيقة.
- هذا ما أفعله.
- أنت تخفي أشياء كثيرة تخصّ المتّهم.
- مثل ماذا؟
- لماذا انقطعت علاقتك به كل هذه المدة.
- سافرت إلى فرنسا إجازة لشهرين.
- لم يتّصل بك.
- لم يتّصل. لم يكن يعرف عنواني.
- وسارة؟
- ما بها؟
- ألم تتّصل بها أو اتّصلت بك؟
- سارة لم تتّصل بي يوماً إلاّ عندما أغمي على أبيها.
- متى كان ذلك؟
- قبل شهر من اختفائها.
- ألم أقل لك إنك تخفي أشياء كثيرة.
- لا أخفي شيئاً. أنت من يوجّه الأسئلة.
- كيف أغمي عليه؟





- ككل من يغمى عليه.
- أقصد ما الذي حدث؟
- أخبرته أنها حامل.
- من أخبرك بهذا، هل هي سارة أم هو؟
- سارة.
- سارة قالت لك إن والدها أغمي عليه لأنها قالت له إنها حامل؟
- نعم.
- وممّن حامل؟
- لم أسأل.
- هل كانت لك علاقة بها؟
- علاقة ماذا؟
- علاقة حميمة.
- لا.
- ألم تعاشرها يوماً؟
- سؤال لا أجيب عنه.
- أنت طلبت يدها. أبوها رفض. تتصل بك لتقول لك إن والدها أغمي عليه لأنها قالت له إنها حامل، ثم نجد سارة قتيلة. ألا ترى أن هذا تسلسل منطقي؟
- لا، هذا فقط تخمينك. وهذه قصة بسيطة.
- هل القصة أكثر تعقيداً؟
- مؤكّد.





- عندما طلبتك ماذا فعلت؟

- كنت في سوسة بعيداً عن العاصمة.

- يعني!

- لم أذهب. نصحتها بأن يراه طبيب منزلي أرسلته إليه. انتظرت ساعة. أصبح بخير.

- هل كان يشكو من مرض ما؟

- صرع.

- صرع؟

- نعم.

- مرض الصرع قد يدفع المريض للقتل.

- لا، هذا نادر.

- لكنه ممكن.

- الأمر مستبعد في حالة كمال مع سارة.

- كلّمته بعد ذلك؟

- نعم.

- ماذا قال لك؟

- عادي. أشياء عادية.

- أقصد بخصوص حمل سارة.

- لم يتحدث في الموضوع.

- وناديا؟

- قال إنها غرّمته من جديد لأنه اقترب من بيتها.

- لماذا اقترب من بيتها؟





- أراد أن يرى سارة.

- هل تركته سارة بعد أن علم بحملها؟

- نعم، يبدو ذلك.

- هذا أيضاً مؤشّر.

- ليس مؤشراً على شيء.

- ماذا تعني؟

- لأنها عادت إليها بعد ذلك، وعاشت معها حتى اختفت ووجدت جثتها.

- لكنه قال إنه سمع من أصدقائه بعد أيام!

- كان في بيتي.

- في بيتك؟ ماذا يفعل؟

- طلب بيتي لأسبوع حتى يرى طبيبا بسوسة وكنت مسافراً في باريس فكلّفت شخصاً بأن يعطيه مفتاح البيت.

- كان وحيداً بالبيت.

- نعم.

- لماذا لم يصحب سارة معه؟

- لا أدري.

- لم يتصل بك من هناك؟

- اتّصل مرة واحدة.

- ماذا قال لك؟

- لا تشغل بالك اشتريت لقططك الصوسيصون.

- فقط؟





- أوصاني ببعض الأغراض لسارة.

- ما هي؟

- تنورة وحذاء طويل.

- سيد ايفو عليك أن تتعاون معنا.

- بماذا أتعاون معكم؟

- أين الدفتر؟

- أي دفتر؟!

- الدفتر الذي كان يكتب فيه صاحبك في مستشفى السجن.

- لا أدري عمّا تتحدث.

- أتحدث عن أغراض المتهم التي اختفت من غرفته فجأةً ومنها دفتر كان يكتب فيه طوال اليوم هو دليلنا على إدانته.

- لم أزره في المستشفى ولا في السجن.

- لكن الدفتر عندك.

- كيف خمّنت هذا؟

- نحن متأكدون من ذلك.

- كيف تأكدتم؟

- لم تحرص على إخفاء تلك الأغراض، فقد أخبرتنا ناديا أن صورة ذلك الكاتب الأجنبي التي كانت بشقته هي الآن معلقة على جدار بيتك.

- ماركيز.

- نعم ماركيز، هكذا قالت ناديا.

- كذبت عليكم.





- داهمنا بيتك ووجدناها.
- ليس من حقكم مداهمة بيتي.
- كل شيء قانوني سيدي المحامي، بترخيص من النيابة.
- طيب.
- لكننا لم نجد الدفتر. أين تخفيه؟
- ليس هناك من دفتر.
- من سلّمك الأغراض؟
- لا أحد.
- كيف وصل ماركيز لبيتك؟
- عاد وحده.
- أنت تسخر من التحقيق.
- أنا أجيب.
- نحن نعرف كيف ننتزع منك الدفتر. سنهتم بك.
- هل تهددني؟
- أنصحك. أنصحك نصيحة أخ لأخيه، فكلنا رجال قانون.

وقّع. ولكن صديقك مُدان مهما أخفيت عنا الأدلة. وقّع سيد ايفو، وقّع.





# 16 يونيو 2014

حانة دار الصحفي. صباحاً. تبدو خالية إلاّ من نادل بعيد وراء الكونتوار يرصف البيرة في البراد.

في الركن ثلاثة رجال غلاظ يجلسون أمام قوارير الستيلا في صمت كأنهم في انتظار أمرٍ جلل.

- لماذا اخترت هذا المكان؟ (تنحنح أحد الرجال الثلاثة)

الثاني: ليس هناك مكان أكثر أمناً من هذا البار صباحاً.

الثالث: ما المشكلة؟ ما هو الموضوع الذي دعوتنا إليه بكل هذا الإلحاح؟ كنت سأذهب إلى المحامي.

الثاني: لماذا تذهب إلى المحامي؟

الثالث: سأطلّقها. لم أعد أستطيع.

الأول: كلّ مرة تقول ستطلّقها، وتأتي بحقيبتك تزعجني بسحنتك الجميلة ثم تقوم صباحاً وتقول لي اشتقت إليها.

الثاني: لم نأتِ هنا لنمزح ولا حتى لنشرب. أفيقا.

الأول: نحن ننتظر أن تتحدّث من ربع ساعة.

الثاني: علينا أن ننهي أمر 493.





الثالث: ملف سارة اليحياوي؟

الثاني: نعم.

الأول: كيف سننهي الأمر؟ الملف ما زال مفتوحاً على احتمالات كثيرة.

الثاني: ولماذا ننتظر ونتابع هذا الخراء؟

الثالث: ماذا تقصد؟

الثاني: أمامنا فرصة لن تتكرر كثيراً. أفهمتما؟

الأول: لم أفهم. وضّح كلامك الملغز هذا!

الثاني: ألم تتعب إلى الآن من ركوب الحافلات لتصل إلى هنا وتحقّق مع هؤلاء المعتوهين والشاذين من الأثرياء؟

الأول: لا أفهم.

الثاني: علينا أن نخرج قرار الإدانة غداً.

الأول: لا يبدو قاتلاً. الطبيب أيضاً يستبعد ذلك.

الثاني: هناك أطباء آخرون سيرون عكس ذلك. حكاية حياة سنحوّلها لصالحنا.

الأول: حياة هذه لا أثر لها، إنها من هلوساته.

الثاني: هذا ما نريده؛ الهلوسات. من يهلوس يقتل.

الأول: والدفتر؟

الثاني: سنأتي به لكنه ليس مهمّاً.

الثالث: ذلك اليهودي ليس سهلاً. ونحن لا نعرف ما بالدفتر.

الثاني: تقول لك إنّ في إمكانك أيضاً أن تغيّر سيارتك الشعبية.

الأول: ما مصلحتها في إدانته؟ أنا لا أفهم.





الثاني: ليس المطلوب منا أن نفهم. علينا فقط ألاّ نأكل أطراف أصابعنا ندماً عندما تطير منا الفرص.

الأول: أنا خائف.

الثاني للثالث: وأنت؟

الثالث: أنا لم أعد أطيق تلك العجوز.

الأول: عن أي عجوز تتحدّث؟ اترك أمر طلاقك المزعوم. ركّز معنا.

الثالث: أقصد سيارتي.

انفجر الأول ضحكاً بينما رفع الثاني قارورة الستيلا في وجه الأول: وأنت؟

الأول: لست موافقاً.

الثاني: أنت مجنون. لا تقل لي ضمير، فلم أعرفه عندك في صفقات سابقة.

الأول: هذه جريمة قتل وليست سرقة.

الثاني: وما الفرق؟

الأول: المتهم يمكن أن يُشنق.

الثاني: لم يعد هناك من يُشنق في هذا البلد. دائماً هناك عفو ودائماً هناك محامون يخففون الحكم.

الأول: إدانته بالقتل يعني القضاء عليه. هذه ابنته.

الثاني: لا تتعنّت. هذه ناديا عبد الناظر، لا أحسب أنك تجهل من وراءها.

الأول: أعلم.





الثالث: عنيد ككل مرة.

الثاني: فكّر أنّ لك أبناء عليك أن تربيهم.

الأول: هل هذا تهديد؟

الثاني: اسمك نزل بقائمة المطلوبين للعمل في بنغردان. الجريمة هناك تتفاقم مع الوضع الأمني في ليبيا.

الأول: هذا تهديدٌ ثانٍ!

الثاني: أنا فقط أنبّهكَ. لا تتهوّر.

الثالث: إلاّ إذا كنت تريد أن تتخلّص من زوجتك أيضاً وتهرب منها إلى الصحراء.

الثاني: كفّ أنت عن التهريج. وأنت تذكر زميلنا الذي انتحر منذ شهر ببوسالم.

الثالث: المتّهم بالتعاون مع الإرهابيين؟

الثاني: هذا ما قالته التحقيقات.

الأول: أنت تُحكم حولي حصاراً ولا تترك لي مجالاً للاختيار.

الثاني: في الأمور المعقّدة نختار الطريق الأسلم.

الأول: وما الطريق الأسلم هنا؟!

الثاني: الإدانة.

سحب الثاني من محفظته ملفاً ودفعه للأول: التقرير جاهز للإمضاء.

الأول وهو يلتقط الملف: والتسليم؟

الثاني: عند الجسر غداً، السابعة مساءً.





# 5 يونيو
# في رأس بوخا

– لماذا تقول عنه هذا الكلام؟

– لا أقول شيئاً. إنّها الحقيقة.

– أنت تحقد عليه لأنك فاشل. فهمت الآن ما فعلته. أنت حقير.

– أغلقي فمكِ وإلاّ حطّمت وجهكِ بهذه الزجاجة.

– رسمت خطتك جيداً للإيقاع بي وبها ولكنك فضحت نفسك الآن.

– أنتِ سكرانة. سارة اهدئي. أعلم أنّ ما أقوله لكِ مؤلم ولكنها الحقيقة. أبوكِ نذل.

– كلكم أنذال. ابتعد عني. لا تلمسني.

– استغلّها جيداً كما كان يستغلّ كل شيء في الجامعة لكي يحقق ما يريد. كان ممثلاً بارعاً. الوحيدة التي تعرف ذلك هي هند. كانت تقول له دائماً أمامنا إنّه ممثّل كبير وعليه أن يترك الكتابة.

– هو كاتب كبير. ومن تكون هذه العاهرة حتى تصفه بذلك؟





- هي وأمّك سرّ شهرته، الأولى بعلاقاتها والثانية بعلاقاتها أيضاً.

- لا أفهم.

- هند كانت من أقنع المخرجين والمنتجين ليقتنوا ما يكتب من خراء. تلك المسلسلات البائسة... سأرميكِ لهم في القبو لتتعرّفي من أين تخرج الخرافات.

- أيّ قبو أيها السافل؟

- غرفة العمليات. لكن قبل ذلك عليك إجراء العملية، هذا الجنين عليه أن ينزل.

- لن أجهضه.

- ستجهضينه بالقوة.

- لا أحد يجبرني على قطع شيء مني.

وقف ستيلا هناك وشدَّكِ من شعرك وأنت تصرخين. جرّكِ نحو ذلك الركن، فتح البرّاد بيده الأخرى، حشر رأسكِ فيه وهو يهمس في عصبية.

- ستتخلصين منه. امم؟ تسمعين؟ ستتخلصين منه وإلا قطعتك وحشرتك في هذا البراد وأطعمتك لفئران أبيك الجائعة.

كنت أشاهد كل ذلك من شقّ باب الغرفة المقابلة. كنت تحاولين التنفس بصعوبة وأنت تتملصين من قبضته. أخرج رأسكِ من البراد وأداركِ إليه. كان وجهك المتجمّد قد غادرته دماءه في لحظات.

دفعك على الأريكة وهو يقول مهدداً: غداً تتخلصين منه. لا تضطريني إلى قانون بوخا.





كنت أستمع إلى كل ذلك يا سارة. لستُ هنا لأبرّئ نفسي، فليس أبشع من أن أفعل هذا. عدت إلى هذا البيت المقرف لأنتظر ستيلا كما اتفقنا. يريد أن يستعيده، فقد انتهت المهمة. ها أنا أنتظر منذ ساعتين أمام صورتك التي لم ينتزعها رغم ما حصل. أنتِ لا تعلمين ما يطلبه مني اليوم ذلك البارمان. حياتي قبل القتل كانت مرحاً بلا طعم، شيئاً مثل الشواء البارد، سنوات من الذلّ البغيض. أكتب وأكتب التقارير ولا أحد رُمي بالرصاص ولا أحد تدلّى في مشنقة ولا رأس طيّرته مقصلة. مهانة كانت حياتي كأيِّ مخبر في بلد بنظام هجين، لا ذكر هو ولا أنثى. فقط نتجسّس و"نخرأ في كيف النّاس" ونكتب التقارير ونعود لأسرّتنا نضرط ونشدّ إلينا الأغطية لنسكر، كما كنا ننفخ في كيس اللصاق.

بعد سقوط النظام الهجين أصبح في جيبي مسدس ككل الضباط المرموقين. صحيح أنني لم أرمِ السكين، لكن في إمكاني الآن أن أسحب المسدس مثل أي راعي بقر في فيلم للوسترن وأنشغل بعض الوقت في تنظيف ماسورته وأن ألمّعه بمنديلي في الجيب الآخر.

في إمكاني الآن أن أجرّ هند من المونديال من شعرها وأضاجعها وراء الكونتوار. سأبعد فقط الجاكيت قليلاً ليرى النادل المسدس ويثبت في مكانه. أصبح في إمكاني بهذا المسدس أن أسمع صراخ ركاب الحافلة متى أحببت وأن أطلق طلقة في السقف لأستمتع برؤية بول أكثر النساء جمالاً. ليس أروع من أن ترى امرأة جميلة تتبوّل من الخوف.

علي أن أحكي لكِ الحكاية من الأول. ما زال هناك وقت على





ما يبدو قبل أن يعود ذلك الكلب. لن يعود على ما يبدو قبل إغلاق الحانة، ولن تغلق الحانة قبل الواحدة ليلاً.

عندما قدّم لي حسن المسدس سقطت منّي 30 سنة وعدت إلى تلك اللحظة حين امتدت يدي لأخذ هدية أبي. كان مسدساً ضخماً. عندما رفعته في وجهه وضغطت على الزناد لم يخرج منه شيء. رفعته من جديد ووجّهته نحو رأس أمي وضغطت على الزناد لم يحدث شيء. رميت المسدس في وجه أبي حانقاً: لماذا كذبت علي؟ هذا مسدس صبيان.

انهار أبي وهو يقول لأمي: ابنكِ يريد أن يقتلنا. يريد مسدساً حقيقياً ليقتلنا به!!

يوم سلّمني حسن المسدس، الذي يريد أن يستردّه الآن، تمنّيت لو بقي أبي حيّاً أو حتى أمّي حتى أجرّبه. كم أحببت أن أبدأ حياتي الجديدة برصاصة في رأس قريبي. لطالما كرهت الأقارب. كانوا طوال حياتي مثل العقارب. لم يكن أمامي منهم يومها غيرها.

كم كنتِ شهية وهو يجرّكِ إلى البراد، حتى تمنّيت لو كان بيدي بدل المسدس قنبلة يدوية كنت ألقيتها عليك في تلك اللحظة لأراك تتلاشين. ليس أروع عندي من أن أجعل الأشياء تتلاشى. هناك أشياء وُجدت لتتلاشى ومنها كل الأشياء الجميلة والأمور الجميلة والأفكار الجميلة والنساء الجميلات.

سمعت كل شيء يا سارة. لكن هناك من سبقني إليك. حسن لا يصدّق أنني لست أنا من فعلها. اليوم سيأتي وسيسلّمني المبلغ الذي اتّفقنا عليه. لن أقول له مرةً أخرى إنني لست أنا من فعلها.





أحتاج ذلك المال. لكنني أحتاج هذا المسدس أكثر.

أحتاجه لأرفع تنورة هند وراء سور البنك. أحتاجه لأتفقّد الفئران في القبو. بدأت تتوحّش. أحتاجه لأفجّر جمجمة ذلك اليهودي، لم يخرج لي ذلك البائس صباحاً. ظلّ ينظر إليّ من وراء بلّور النافذة كأي جبان. لكنني وعدته بأن أعود إليه، لذلك سأقنع ستيلا. سأقنعه بأن يترك لي المسدس وإلا فلن يكون رأسه أجمل من رأسكِ.





# 14 يونيو 2014

سيارة كليو حمراء قديمة تتوقف أمام المقبرة. تنزل منها امرأة طويلة في فستان أسود، تلفّ رأسها بإيشارب من نفس اللون، تتقدّم بخطى حثيثة واثقة نحو البوابة المغلقة. يظهر البوّاب من خلف السور راكضاً، يفتح الباب الحديدي الثقيل. تدخل المرأة وتأخذ مسلكاً على اليسار. تحت شجرة الكالاتوس الضخمة تقف أمام قبر حديث البناء.

"لا أدري ما تفسير لماذا أتيتكِ اليوم بعد أن انتهى كلّ شيء. دفعت أنت الثمن في النهاية ودفعتُه أنا في البداية. أعلم أنني السبب، لست هنا لأبرّئ نفسي. كان انتقامي منه باهظاً. لكنّي جئتُ أعدكِ أنّني لن أتركك تُدفَنين وحدكِ".

تدمع عيناها من جديد وبحركة سريعة تُخرج منديلاً من محفظتها وتمسح الدمعة، تلتفت إلى الوراء لتتأكّد أن أحداً لا يسمعها في هذا الفراغ الموحش، ثمّ تعود إلى حديثها.

"تسألين لماذا جئت؟





كان لا بدّ من المجيء لأعترف لك وللفراغ. أعترفُ أنني كذبت يا سارة، لكنّه الكذب القدريّ الذي لم يكن منه بدّ. هل كان من الممكن أن أراكِ تتحولين بين يديه قطةً لطيفة، وابنةً عشيقةً لهذا النذل القاتل؟ كنت أحطّم الأسوار من حوله لألقاه في العراء وأغرس في قلبه تلك الفأس التي رفعها في وجهي وهو يطردني يوم قلت له إنّ علينا أن نفترق.

أبوكِ الآخر يا سارة لا يقلّ نذالةً عنه. عندما عادَ هو الآخر يطالب بك أدركتُ أن الأنذال يحاصرونني من كل الجهات: أب يطالب بابنته التي رماها في بطني قبل سبعة عشر عاماً، وزوج يرفع في وجهي فأساً يهددني بالقتل ان هجرته وعدت لصاحب النطفة، وعشيقٌ نذلٌ يتحيّن صيدَ فريسةٍ ليصفّي حساباً، وكلّهم يمتصّون دمي في الليل كالوطاويط، وأنتِ أيّتها الفريسة سقطتِ في الإدمان وفي حضن حسن.

ما مررتُ به كان فظيعاً ولا أدري الآن أيّ قدرٍ ينتظرني خارج هذا الصمت. رحل أبوكِ عن العالَم غدراً وتركوني معلّقةً: قدم في السماء وقدم على الأرض. ليس صحيحاً يا سارة ما كتبوه في الجرائد. أيّ ظروفٍ غامضة هذه تقتلُ ناقداً معروفاً وتنتزعُ أحشاءه؟ قتله النذل عندما طالب بي وبكِ، قتله وانتزع أحشاءه، ثمّ قالوا لي مات. كان لا بدّ أن أبعدَ قاتل أبيك عنك يا سارة، ولو بالكذب".

تجلس بحركة بطيئة فوق صخرة بجانب القبر. تغمض عينيها وكأنّ بها صداعاً.





”لا أذكر أنّهم كتبوا قصّة الكبد في الجرائد. لا أذكر أنّهم شرّحوا الجثة. لم يذكر أحدٌ اسم زوجي النذل ولا فتحوا تحقيقاً. لا أدري إن كان قَتلَ. أنا متعبة يا سارة. أعتذر منك يا حبيبتي عن كلّ شيء.

أرجوكِ، نامي هادئة. أتوسّد كل ليلة فساتينك البيضاء الصغيرة وأراكِ وأنت في سنواتك الأولى. ما زلت أحتفظ بكل شيء في الحقيبة الحمراء. اعذريني لأني لم أستطع أن أحميكِ حتى بعد أن رأيتكِ في حضن حسن ولم أستطع أن أفعل شيئاً وأنا أراه يُسقطك في الإدمان. كان حسن شيطاننا الثالث.

جئت لأقول لك لن أكفّ فلا تحاولي. خذي، هذه سجائرك المفضلة وولاعتك الصفراء وجدتها على مكتبك، أعلم أنك لا تصبرين على فراقها. خذي السجائر واخرجي الآن من عقلي. سأظل وراءه حتى آخر قطرة ساخنة من دمه، وسأدمّر كلّ من يقف للدفاع عنه.

سأعود مرةً أخرى لأروي لك الحكاية كاملةً، لكن عليّ أن أنهي المهمة أولاً“.





# 20 أغسطس 2014، 22:42

في غرفة بالمستشفى العسكري. شرطي أمام الغرفة يدخّن في صمت ورجل في الداخل يعصر رأسه بين يديه.

## أصواتٌ تأكل دماغي

لم تعجبني هذه المرة. لا لأنك لم تضاجعني. كثيراً ما فعلتها. وهناك أشياء أهمّ عندنا من أن نحشو قضبانكم في فروجنا كما تعتقدون. ما اكتشفته هذه المرة أمر خطير ولكن للأسف هذا هو الواقع. أمر لا يمكنك أن تخفيه، وهو أمر مفزع فعلاً. الرائحة! لقد فقدتَ رائحتك أيها الكاتب. يبدو أن النساء شفطن رائحتك إلى آخر نقطة، أو ربما من فرط النظافة. لكن هذا يعني أنك انتهيت أو تحوّلت إلى فقمة. سمنتَ كثيراً. ليس لك ما تعيّرني به. قرأت شيئاً ممّا كتبت في دفترك، ليلتها. تبدو كاذباً ومتحيّلاً وتلفّق أشياء لم تحدث. لماذا قلت ما قلته عني؟ لماذا تنكر ما كان بيننا وتختزله في ليلة؟ هل تلك البائسة قحبتك تراقبك؟ هل أصبحت تخاف؟





لماذا تكتب إذن؟ الخوافون لا يكتبون ولا حتى يقحبون.

أنت بشع سيدي الكاتب؛ بشع أكثر من الجميع. معك كنت أنزع عني مهنتي وأكون معك هند بلا مونديال؛ هند فقط: تلك الطفلة البدينة التي تحب الضحك والمرح والتقبيل. أما أنت فتبقى طوال الوقت ذلك الكاتب. بمجرد أن رأيت الدم هربت إلى الشرفة. كأنما مسّ شرفك. بمجرد أن تنتهي كل مرة تهرع إلى الشرفة أو إلى البراد تشرب البيرة، وإذا لم تكن هناك شرفة ولم يكن براد تهرع إلى المغسلة تغسل قضيبك. كنت أراك من بعيد منهمكاً وكنت أقول لك في سرّي: اغسله جيداً سيدي الكاتب، فالمرأة التي كانت في حضنك مومس. مومس جداً. إدعك قضيبك جيداً. إدعك. لم تعد لك رائحة.

كدت أنسى. لم تعد تصلح للسينما. كنت أكذب. أكذب مثلك ومثلك أيضاً أنهض بعد الانتهاء منك أغسله. أغسله مرتين وأدعكه حتى أسلخه، فرائحة غليونك عطنة.

## 2

كلكم أوغاد. كلكم في النهاية تقولون الشيء ذاته: "خذ الكيس وارحل"، لذلك أكرهكم. أنتم القتلة الدمويون وليس الذين يقبعون في السجون؛ ليس أولئك المعلّقين على المشانق. أنتم القتلة الحقيقيون الذين تتفنّنون في القتل. أنتم الذين تنتزعون الأكباد والقلوب والكلى والخصيّ والأيور. كل مرة تعلمونني طريقة جديدة؛ أن أقتل بطريقة أبشع من التي سبقتها. تدفعون وتدفعون





الأكياس على الطاولات وتحت الطاولات وعلى الجوانب، وتقفون خلف النوافذ تتابعون قتلاكم وسفك الدماء على الأرصفة. تقفون هناك ببرود، تطلبون الإسعاف وتستغفرون الله وتتقيأون. تتقيأون يا أولاد القحبة من أفعالكم.

لسنا نحن من يقتل. أنتم هم القتلة الحقيقيون. أنتم الذين تحسمون بدلاً من الله الذي تستغفرون. كلما زادت أموالكم ازدادت جرائمكم. هذا الكيس الملعون الذي تدفعه إلي أيها الكاتب البشع هو ثمن الدم الذي سفكته بالنيابة عنك. سأنساه أنا ولن تنساه أنت. أنت أيها الكاتب المخبول؛ أنت تدفع لي مقابل قتلي خيالك؟

هذا الفرق بيني وبينك. يداي ملطختان بالدم ويداك بالإثم. طبعاً أنت لن تترك قاتلاً في حكاية من حكاياتك العظيمة يقول هذا الكلام. علينا أن نكون تافهين، نسبّ ونشتم ونقتل ونأخذ الأجر ونرحل.

لكنني أريد أقول لك إنك أحمق. سأعيش اليوم الذي أعلّقك فيه من خصيتيك وأشرط بطنك كشاة لتسقط أمعاؤك على وجهك المقلوب.

نجوت مني قبل سنوات لأنك، كما قلتَ لهم، "رجل خيال". "اتركه ذلك المعتوه، إنه مجرد خيال لا يكتب في السياسة". خدعتَهم وصدّقوك. أولاد القحبة أيضاً صدقوك. لأنهم أغبياء. قتلة أغبياء مثلك. لا تكتب في السياسة؟ آه! اليوم تغيرت الأمور. اليوم يُدفع لنا لقتل الخيال. وسيدفعون. تأكد أنهم سيدفعون غداً





أو بعد غد لكي أُنهي خيالك. يومها لن أنتزع كبدك فقط، سأبول عليه في مكانه. سأجلس أمام جثتك المعلقة بالمقلوب وأشرب. سأرمي الزجاجة تلو الزجاجة في بطنك الفارغة حتى تمتلئ، وأتركك قمامةَ خيالٍ مقرف.

كلكم أوغاد. كلُّكم قتلة. كلكم زناة وأبناء زناة. كلكم أولاد حرام. كم أحقد عليكم!

## 3

"أنت مجنون. مختلّ. مجنون. لا تقرب بيتي أيها السافل. ها قد رأيت أنه كان سيحطّم عظامك بالسيارة لولا تدخلي. سأتركه يفعلها إن اقتربت مرةً أخرى. لا تطلبني بعد اليوم. اتقِّ شرّي أحسن لك. لا تلعب مع ناديا أيها النذل. سأسحقك كحشرة وأعيدك تحت الأرض من حيث انتشلتك".

## 4

يا سيّد. يا سيّد. ابحث فوق. لم يعد لك مكان تحت. لا مكان لأي سيارة أخرى. كومبليه تحت.





# 24 أغسطس، السابعة مساءً

مقبرة الجلاز. رجل في معطف ثقيل يجلس لقبر تحت شجرة الكالاتوس.

سَبقوني إلى رأسكِ الجميل يا سارة. هل كان يجب أن تعلني أنك راحلة لتركض إليك القطط الجائعة؟ ما ضرّ لو تريثتِ قليلاً. كنا تمتّعنا معاً بالقتل الذي يليق بك. رصاصة عند الحاجب الأيمن حيث تضعين ذلك الحلق الذهبي الذي يتدلى من جلدتك.

لماذا لم تنتظري قليلاً يا شيطانتي الصغيرة؛ قليلاً فقط، قليلاً من أجل هذا الرجل الحزين الذي قضى حياته يكتب فيك التقارير من بعيد؟

كم تمنيتك في حضني وأنا أراكِ تتمرغين على الكونتوار تعبّين البيرة في تلك الحانة. لم أكن أعلم أنكِ على علاقة بحسن. كان كلّما حدثته عن قدميك الجميلتين في الحذاء ذي الكعبين العاليين يثور ويهددني بأي شيء في يده ويذكّرني بعائلتك المرموقة. لكني لم أتوقف عن الحلم بك والاستمناء عليك. كنت أضاجعك في





خيالي حتى أنهار وأنام.

لا يعرف حسن أن ذلك الغرام قاتل، وأنني كلّما تخيلتك معي رأيتني أقتلك كل مرة بطريقةٍ أروع . كان حلم قتلك بالمسدس أكثر الأحلام تكراراً في خيالي.

سارة،

كان عليّ أن أخلّصكِ من الضجيج؛ من ذلك المكان القذر للمومسات والممسوسين. كنت أحب أن أراك تُرفعين على الأعناق. كنت أريد أن أشدّك لأُسكّن ذلك التشويش. كنت طوال الوقت أرى أكاليل الورد حول وجهك وهم يرفعونك على الأكتاف ويزفّونك لملكٍ هناك. كنت أراه ذلك الملك. كان يشبهني، يشبهني كثيراً يا سارة.

لكنكِ تعجّلتِ وتركتِهم يرفعون في وجهك الفؤوس.

ماذا بقي لي الآن لأعيش من أجله؟ حتى ذلك الكاتب الأحمق لم يتحمّل فانتحر طعناً.

لماذا تسرّعتِ يا سارة قبل أن تسمعي مني مرة واحدة؟ كنت سأضع الوردة عند الحاجب وكنتِ سترتاحين أيضاً.

ليس من حقه أن يطعن نفسه ويموت هكذا وليس من حقك أن تمدّي رأسكِ لأيِّ قاتلٍ مأجور وتموتي هكذا وتتركاني لهذا الفراغ. ليس من حقكم وليس من حق القطار ولا حتى الطائرات أن تسرق مني كل هذا.

أترحلان دون استشارتي ودون إذن؟ كيف تقرران هذا بلا أي اعتبار لهذا الرجل الذي أصيب بالسل من أيام البرد التي كان





يقضيها تحت العمارة ينتظر انطفاء نور شقة الطابق الثالث؟

ما كان يجب أن تتسرّعي.

ماذا أفعل بالوردة في هذا المسدس الجميل؟ قولي ماذا أفعل به؟!!

لم يبقَ لي إلاّ ذلك الدفتر. سأعثر عليه وأستردّه وسأجد جواباً لكل هذا.

لكن أين ذلك الأحمق اليهودي؟ لا أحد يدخل أو يخرج من بيته منذ أسابيع!





# ماذا فعلت بي أيها اليهودي القذر؟

لم أصدّق إلى الآن أنّها ماتت وأنّها تقبع سبعين ذراعاً تحت الأرض. أحتاج إلى ستّ علب من البيرة لأستوعب ما حدث ثمّ أنسى.

كانت قذرة كأبيها؛ قذرة جداً. خلاصة جينات كاتب نذل وبرجوازية متعصبة. "يهودي قذر!" حتى هي قالت إنك يهودي. هذا مستحيل. ما زلت أذكر كيف قفزت هلعةً من فراشي وهي تصرخ: ماذا أفعل عندك أيها النذل؟ ماذا فعلت بي أيها اليهودي القذر؟

كلهم يعيدون على مسامعي الشتيمة نفسها، "يهودي قذر". لماذا لا يتذكّرون قذارتي وهم يعلفون من يدي القذرة في سهراتهم ويلتقطون الأكل من الطبق ساخناً قبل أن أضعه أمامهم؟

ظلّت تشتم وتصرخ حتى بعد أن قلت لها إنها هي من رجتني أن تنام في حضني تلك الليلة وأنني لم أفعل ذلك إلا عندما هددتني بأن تترك البيت آخر الليل. "كنتِ تبتزينني وتعلمين أنني لن أترك ابنة صديقي تبيت في الشارع".

عادَت تشتم وتصرخ كعادة أمّها وهي تتّهمني بأنّي نهشت





ابنة صديقه في لحظة ضعف وأنها ما كانت لتطلبني أنا بالذات لأضاجعها. "أنت انتهزت فرصة ضعفي. أنت اغتصبتني وسأفضحك أيها الوسخ".

عندما التفتُّ إلى الجدار ولم أجد الفأس عضضتُ على كفّي وأنا أبحث عن شيء أهشّم به رأسها، فقد نفد صبري مع تلك العاهرة الصغيرة.

أطبقت الباب وراءها ورحلت متوعدة.

عادت تطلبني عبر الهاتف بعد شهرين تقول إنها حامل، وعادت لنفس شتائم أمّها.

يا قطط اليهوديّ العزيزة، أين العلبة الثانية؟ لقد نفد صبري.

"أنا حبلى منك؟ قل، هل قذفت فيّ تلك الليلة؟ هل سأنجب منك أيها اليهودي الحقير؟".

أغلقتُ في وجهها الهاتف وجلستُ أفكّر. وقتها خسرت قضيتين وعنّفني أحد موكليّ بسبب ما أصابه، فقد ضيّعت تركيزي أمام القضاة وسرحت. تركت القاضي يُنزل به أكبر عقاب. هو الآخر ناداني من وراء القضبان باليهودي القذر. فجأةً أنقلبُ قذراً بمجرد أن أرتكب أي خطأ بشري. عليّ دائماً أن أكون السوبرمان لأجد شرعيةً لوجودي بينهم.

كم كرهتها. انقلبت في عيني رمزاً للشر؛ حزمةً من البشاعة وعصارة هذا التطاحن الطبقي الذي جمع ناديا بذلك الكاتب السافل.

كم حلمتُ بي أقف على الفراش، وهي، كما رأيتها تلك الليلة،





عارية كما ولدتها أمها، وأطلق عليها قططي الجائعة. رأيتني ألفّها في كيسٍ شفاف مليء بالصوسيصون ثم أطلق عليها عشرين قطاً ليمزقوها في ذلك الكيس. كنت أراها تتخبّط داخل الكيس ولا يخرج لها صوت حتى تسكن إلى الأبد. كنت أدخّن دائماً وأشرب البوخا هناك قرب النافذة. أصبحت أرى المشهد في صحوي عندما أقف في النافذة وأنظر باتجاه أول الشارع حيث كنت أنتظرها أول مرة لأركض وأفتح لها الباب.

هي الآن ترقد تحت ذلك التراب الذي كنت أراه. كنت أسمع صوتها يخرج من تحته مبحوحاً وهي تلفظ أنفاسها: قذر!

نعم، أنا قذر. أعترف. اللعنة. معذرة يا قططي. معذرة أيتها الجميلات. هيا. هيا كلي كلي. هناك المزيد من الصوسيصون.





# قبو الحكايات

كانت سيارات الإسعاف تلعلع هناك، ورجال الإطفاء والنجدة يتدافعون إلى القبو ويُخرجون الجثث الهزيلة. رجال في الثلاثين، مثل جنود ضائعين منذ زمن، وجدوا تحت الأرض يعضّون على أكداس من الورق بعد أن سقطوا قتلى جرّاء تسرّب للغاز.

كشفت وزارة الداخلية أن فرقة مقاومة الإرهاب، وبعد تلقيها عدة رسائل استخباراتية عن حركة مريبة في قبو قريباً من محطة الـ TGM يؤمّه عدد من الغرباء، داهمت القبو فعثرت على أكثر من ثلاثة عشر قتيلاً. الشخص الوحيد الذي عُثر عليه حياً قبل أن يفارق الحياة يقول إن رجلاً مجنوناً حجزهم منذ شهور وتركهم هناك مغلقاً عليهم الباب الحديدي. وذكر أنهم يتعاملون مع هذا الرجل منذ سنوات وأنهم يكتبون له مسلسلات تلفزيونية مقابل الكثير من المال الذي يؤمّن وصوله إلى عائلاتهم.

تقول التقارير إنهم، بالتثبّت في هويّات الضحايا، اكتشفوا أنهم كلهم من طلبة الكاتب في درس الدراماتورجيا التي يدرّسها في الجامعة منذ ربع قرن. وقد وقع استدعاء امرأة الأعمال الشهيرة ناديا





عبد الناظر بصفتها ابنة صاحب هذا القبو الذي كان من سنوات يُستعمل كمخزن للمشروبات الكحولية التي يتاجر بها قبل أن يغلق سلسلة مطاعمه إثر أحداث يناير 2011.





# 28 أغسطس 2014

السادسة إلا ربعاً مساءً. أمام المقبرة. سيّارة الكليو الحمراء تركن أمام البوابة. لا يُسمَع صوت هناك. خلاء هسهسة رياح خفيفة. سائق ضبابي الملامح يهمس للسيّدة التي تجلس عن يمينه بكلام تليه قبلة على الخدّ.

يجرّ الحارس البوابة الحديديّة. سيّدة جميلة ترتدي فستاناً أبيض وإشارب أحمر وفي يدها باقة ورد جنائزيّة أنيقة، تدخل المقبرة واثقة. تتجه إلى اليسار. تتوقف أمام قبر شجرة الكالاتوس. تُخرج من حقيبة يدها قارورة الماء تصبّها فوق القبر الجاف. تضع فوقه باقة الورد. تجثو لأول مرة على ركبتيها وتنهمك في بكاءٍ طويل قبل أن تنهض، تمسح عينيها بمنديلها الذي في يدها، تعدّل تسريحة شعرها وتتفقد فستانها. تُعيد المنديل إلى حقيبتها بعناية وتلتفتُ يميناً وشمالاً متأكّدةً أن ما من أحد يسمعها.

"الآن انتهى كل شيء يا حلوتي الصغيرة. ذهب إلى الجحيم. برد قلبي الآن قليلاً.

ها أنا أعود كما وعدتك لأفتح لك وحدك جرحي. ألم أقل لكِ





إنّ ناديا عبد الناظر لا تُهزَم. كان عليّ أن أنتقمَ من هذا الكائن الذي حوّلني إلى حطام امرأة. إنّها الخيانة، وحدها الخيانة من يقلب حظوظ التعيسات والجميلات والخائنات. عن أي شيءٍ أحدّث رمادك الآن؟ عن خيانة رجل عشقتُه وتركتُ والدك من أجله. عن رجل عرف الطريق إلى قلبي فحطّمني بخياناته المتكرّرة.

كلّ يوم كان يمرّ دون أن أنتقم عشتُه كصفعة من كافر. كم مرّة عفوتُ وعدتُ وتناسيت. ظلت تصلني، لسنوات، أخبار الأفخاذ المتطايرة من هنا وهناك. دموع أمّك يا سارة كانت حياةً مثخنة بالألم. تلاطمتني نظراتهنّ فيما كان وجعي يتفتّل ويعتصر. وكم مرّة عفوت وصفحت طالما لم تدخل أيٌّ منهنّ غرفة نومي وفراشي الذي تيبّست شهوتنا فوقه. لكنها وحدها كانت مزبلة من الشبق. حكاية لم تنتهِ منذ أيام الدراسة وحتى زواجي منه. هطلت على حياتي مثل فيض كوابيس. الحقيرة قالت لي: ارفعي مايوهاتك العفنة من الدرج. كان صوتها وآهاتها يأتيانني في مناماتي ويشجّان رأسي ويملآنه مرارةً وحقداً.

لا أحد يعلم ذلك يا سارة. لا يمكن أن يخمّن أحد ذلك إن لم يدخل غرفة نومي. هند المونديال يا سارة. تعرفينها تلك الساقطة السمينة التي رأيتها عندي في المكتب منذ أسبوع. جاءت لتبتزني من جديد. الحيوان كان يأتي بتلك العاهرة لغرفة نومي. هل فهمت الآن؟

منذ الأيام الأولى لزواجنا، كلما سافرت يأتي بذلك الشيء البدين إلى فراشي المتعب من فرط الخيانات. قضم قلبي مثل فأر





لذلك دمّرت له أعصابه. مسخني فمسخته مطبّقةً عليه الطريقة الأميركية. حبة في الحليب صباحاً وحبة في كأس النبيذ ليلاً. ستة أشهر كاملة حتى رأيت بداية النتائج.

ليلتها ناداني "حياة". عرفت أن اللعبة بدأت مع ذلك السافل، وعرفتِ معه حكاية حياة التي حيّرتكِ كلّ هذه السنين يا حبيبتي. أيّ عالم دار برأسك يا سارة؟ هل تسمعينني الآن؟

هو لَم يقتل أباك. هو أجبن من أن يقتل حشرة. ليس سوى نذل يقتل في خياله وينام يهذي بجرائمه.

ما زال ذلك القرف الذي كان يكتبه في السجن. عليّ أن أعثر عليه. لا يمكن أن يكون إلاّ عند ذلك اليهودي البائس. سأمحوه من على الأرض إن لم يسلّمه لي.

نامي الآن ولا تشغلي بالك، لم تبقَ إلا النهاية. يكفيه ما أنهى من الحكايات. هذه حكايتي التي كتبتها وجعلته يعيشها دون إرادة."

اتجهت ناديا نحو بوابة المقبرة. ركض الحارس يغلق الحديد على الأموات. دخلت ناديا الكليو من الباب الخلفي. "هل ننطلق عزيزتي؟" كان ذلك صوت حسن ووجهه مضاء في المرآة العاكسة هذه المرة أمام المقود. انطلقت السيّارة مخلّفةً وراءها دخاناً أسود ثقيلاً. لم تعد الكليو الحمراء بخير.





## ماذا أفعل أيها السافل؟

لا يمكنني أن أخرج قبل أن أحسم. لكن كيف لي أن أحسم؛ أدخل الجحيم أم لا أدخل؟ كيف لي أن أحسم فيما ينتظرني خارجاً. هذا قدر أسود. أي لعنة أصابتني من جراء هذا الحقير. رأيت ذلك الوحش يبول خارجاً كما قرأت في الدفتر تماماً. رأيته في برنسه الأسود. ابتسامته الباردة. هرعت إلى المبولة وأغلقت عليّ الباب بالمزلاج الداخلي. "لا تتهور يا ايفو" سمعته يناديني في الخارج، بنفس البحّة التي سمعتها يوم جاء يهددني بمسدسه في الحديقة.

ناداني باسمي... وقطع كلمة "تتهّور" كما لو أنه يفصل بقبضته رأس قط عن جسده. ابتسامته رسمت جرحاً بانت منه أسنان تشدّ على بعضها بقوة. تركته وهرعت إلى الداخل. ماذا سأفعل الآن؟ ماذا كان يقصد بلا تتهور؟ كان على علم بموعدي مع الناشر؟

ما هذا الجنون؟ هل يمكن أن أصدق هذا؟ بوخا إذاً حقيقة وليس من خيالي ولا من خياله! لكن لمن يشتغل بوخا هذه المرة؟ فعلتها ناديا! ليس هناك من غيرها يريد الدفتر. لم ترضَ أن تزوره في السجن ثم اتّهمته والآن تطالب بأشيائه. كانت تعلم أنه سيكتب





شيئاً. الفضيحة كاملة. بريستيج العائلة يتعرض للخطر. هل دفعت له هو الآخر ليستأصل كبدي والدفتر؟

قلت لها البارحة إنني لن أسلّمها الدفتر مهما فعلت.

يهودي! صحيح أنني يهودي لكنني لن أسلمك أغراضه. صحيح أنه رفض زواجي بسارة لكنني لن أسلّم لحمه لك أيتها القطة البشعة. "هذه وصية كمال التي كتبها" هكذا قالت لي الممرضة التي كانت تعتني به قبل انتحاره. وهكذا طلب مني يرجوني في رسالته التي لم يعش ليرسلها إلي وبقيت في دفتره.

الحقير. خرجت أشتري له صوسيصون فوجدته قد قتل قطتي وهرب. مجنون. إلى اليوم أريد أن أفهم لماذا فعل ذلك؟ كان يجب أن أحطّم رأس قطته أيضاً. ها هو اليوم يترك لي هذه الكارثة ويهرب. تعوّد أن يهرب دائماً ذلك الجبان. كلهم سفلة يتركون أشياءهم القذرة ويرحلون. يتركون خراءهم وعلي أن أنظّف وراءهم. عليّ أن أجمع علب الجعة وقوارير الكحول والمرمدات وأعقاب السجائر وقشور الفول المدمّس والفول السوداني والواقيات الذكرية المحتقنة بمنيهم وحفاضات قحابهم، ومع ذلك لا يزوجونني بناتهم. بناتهم يأكلن راتبي ويشربن بوختي وحليبي ويمسحن دموعهن على أكتافي ويرحلن. مجرد يهودي حُكم عليه بالتيه والوحدة ومعاشرة القطط.

ها إني أسمع الخطوات خارج المبولة. هل سيدفع عليّ الباب؟ الدفتر والصورة في كيسي الأسود وعين ماركيز اللعين تطلّ ساخرة، لماذا عليّ أن أتحمل كل هذا؟ انطق يا ايفو! تكلّم أيها اليهودي





الجبان! وقع الخطى يقترب أكثر يا ايفو. انظر، الضوء المتسرب من تحت الباب يضعف. أخبرني ماذا أفعل أيها السافل؟ كيف أنجو من هذه الظلمة؟ كيف سأخرج من هذا الكابوس؟





تُقتل سارة، الفتاة المراهقة ذات السبعة عشر ربيعاً، فتتّهم والدتها ناديا، وهي صاحبة مؤسّسة إعلامية شهيرة وابنة أحد أقطاب الإعلام، أباها كمال اليحياوي بقتلها. وهو كاتب سيناريو وروائي ذاع صيته بفضل شبكة علاقات زوجته، كما أنه سينمائي معروف بفضل عشيقته هند المونديال.

لكن ما قصة الفئران القابعة في قبو بيت كمال اليحياوي؟ ولماذا أقدم على قتل قطة صديقه إيفو؟ وما العلاقة التي تربطه ببوخا، المخبر والقاتل المأجور؟ وما شأن غابرييل غارسيا ماركيز بهذه القصة كلها؟... وأخيراً، من قتل سارة حقاً؟!

"عشيقات النذل" ليست رواية بوليسية، كما قد تبدو. هي، بالأحرى، عن النذالة، أو عن مجموعة من الأنذال تتقاطع خيوط أقدارهم وأطماعهم، فيفتك واحدهم بالآخر، عبر الابتزاز والخيانة والجريمة... حيث "العطش للشر هو مكيال الحسنات"، وحيث تُحسم المصائر بحسم الرؤوس!

**كمال الرياحي روائي وصحافي تونسي. فاز في مسابقة "بيروت ٣٩" التي نظّمتها مؤسّسة هاي فيستيفال عام ٢٠٠٩. فازت روايته "المشرط" بجائزة الكومار الذهبي ٢٠٠٧ لأفضل رواية تونسية. ترجمت أعماله إلى الفرنسية والإيطالية والإنكليزية والبرتغالية. صدر له في الرواية عن دار الساقي "الغوريلا" و"المشرط".**






ISBN 978-6-14425-829-3
9 786144 258293 >